نَجَابَةُ الأَطْفَالِ

(١١٧) قِصَّة وَاقِعِيَّة

قاسم عاشور

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾

إهداء

إلى فلذات أكبادنا الأبرار الأطهار.

إلى الزهور والورود في حياتنا.

إلى البسمات التي نرتاح إليها ونسعد بها.

إلى دنيا الأطفال المملوءَة بالبراءَة والطهر والنقاء.

إلى براعم الإيمان في الوطن الإسلامي الكبير.

أهدي هذا الجهد المتواضع

قاسم عاشور

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز الوهاب، الذي يهبُ الحكمة والموهبة لمن يشاء من عباده، فوهب المعرفة ورزانة العقل بألطافه الخفية لسيدنا يحيى بن زكريا، عليهما السلام، رغم صغره، فقال سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

ووهب سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام الفطنة والفهم وصفاء القلب رغم حداثة سنّه وقلة تجاربه وهو صبيّ حيث ردّ حكم أبيه ـ داود عليهما السلام ـ في أمر الغنم والحرث، فقال: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان عليه السلام بطول التجارب، بل حصلت بعناية ربانية، وموهبة إلهية، وإذا قذف الله تعالى شيئاً من أنوار مواهبه في قلب من يشاء من خلقه اهتدى إلى مواقع الصواب، ورجح على ذوي التجارب الآخذين بالأسباب، وصلى الله على سيدنا محمد القائل: **«لا تعجبوا بإسلام امرئ حتى تعرفوا عقدة عقله»**.

وعن ابن عباس قال: (لما خلق الله العقل قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له: أقبل، فأقبل، قال: وعزتي ما خلقتُ خلقاً قط أحسن منك، فبك أعطي، وبك آخذ، وبك أعاقب).

وعن ابن عباس أنه دخل على عائشة رضي الله عنهما، فقال: يا أُمّ المؤمنين، أرأيتِ الرجل يقلّ قيامه ويكثر رقاده، وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده، أيهما أحب إليك؟ قالت: سألتُ رسول الله ﷺ كما سألتني عنه فقال: **«أحسنهما عقلًا»**، فقلت: يا رسول الله، أسألك عن عبادتهما، فقال: **«يا عائشة: إنما يسألان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة»** وقال ﷺ: **«ما اكتسب المرء مثل عقله يهدي صاحبه إلى هُدى، أو يردّه عن ردى»**.

وقالت عائشة رضي الله عنها: قد أفلح من جعل الله له عقلًا.

وقال مطرف: ما أُوتي عبد بعد الإيمان أفضلَ من العقل.

وقال معاوية بن قرة: إنّ القوم ليحجون ويعتمرون ويجاهدون ويصلون ويصومون وما يعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم.

وقال المهلب بن أبي صفرة: يعجبني أن أرى عقل الكريم زائداً على لسانه، ولا يعجبني أن أرى لسانه زائداً على عقله.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، ومروءَته خُلقُهُ.

وقال الحسن البصري: ما استودع الله أحداً عقلًا إلا استنقذه به يوماً ما.

وقال بعض الحكماء: العقل أفضل مرجوّ، والجهل أنكى عدوّ.

وقال بعض الأدباء: صديق كل امرئٍ عقله، وعدوه جهله.

وقال بعض البلغاء: خير المواهب العقل، وشر المصائب الجهل.

وقال الشاعر:

ألـم تـر أنّ الـعـقـل زيـنٌ لأهـلـه
ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال صالح بن عبدالقدوس:

إذا تـمَ عـقـل الـمرء تـمّـت أموره
وتـمّـت أمـانـيـه وتـمَّ بـنـاؤه

وقال آخر:

إذا الـمـرء لـم يـولـد لـبـيـبـاً
فـلـيـس بـنـافـع قـدم الـولادة

وقيل:

مـا وهـب الله لامـرىءٍ هـبـة
أحـسـن مـن عـقـلـه ومـن أدبـه
هـمـا جـمـال الـفـتـى فـإنْ فُـقـدا
فـفـقـده لـلـحـيـاة أجـمـل بـه

فالعقل كما نرى هو أساس الفضائل ومنبع الآداب، جعله الله تعالى أصلًا للدين، وعماداً للدنيا، به أوجب التكاليف على عباده، وبه جعل الدنيا مُدَبَّرة بأحكامه، وبه ألّفَ بين خلقه على اختلاف مآربهم ومقاصدهم، وتباين أهدافهم ومصالحهم.

ومن ثمرات العقل: الذكاء، وحسن الفطنة، وجودة الحدْس، وسلامة الرأي، وسرعة الخاطر، وصحة القريحة، ودقة الفهم، وظهور النجابة، وحضور البديهة.

ومع التجارب الطويلة، والخبرة المكتسبة، ومرور الزمان، يتمُّ العقل ويكمل، فهو العقل الكامل على الإطلاق.

ولكن هل نترك أولادنا بدون تربية معتمدين على موهبة العقل التي يمنحها الله تعالى لمن يشاء من عباده؟

لا بد من التربية، ولنا في رسول الله ﷺ وفي السلف الصالح القدوة، كانوا يهتمون بتربية أولادهم تربية مبنية على الإيمان والأدب والشجاعة والرجولة والإقدام، فاكتسبوا أدب الكلام، وحسن الخطاب، وجمال القول، كما اكتسبوا الشجاعة الفائقة والبطولة النادرة بفضل التربية الإيمانية القويمة التي ربُّوا عليها وتلقوها من مدرسة النبوة، والبيت المسلم، والمجتمع المؤمن، كل ذلك وهم دون سنّ الحلم، حتى إذا بلغوا مبلغ الرجال، كانوا هم الرجال.

إن نفس الطفل كالمرآة، يظهر عليها كل ما يقابلها من صور، وعجينة لينة بين أيدينا تتشكل حسب الإناء الذي توضع فيه، لذا يجب على الآباء أن يختاروا لأبنائهم النشأة السوية البريئة الصالحة، التي ترتقي بهم إلى الهمم العالية وإلى مدارج الكمال.

ونجابة الأبناء هي أمنية كل أب، وكل أم، بل هي همُّ الوالدين مدى الحياة.

وصدق من قال:

نِعَمُ الإله على العباد كثيرة
وأجلهنّ نجابة الأبناء

وإني أَهيب بكل الآباء أن يتدارسوا هذا الكتاب مع أبنائهم الصغار ليزرعوا في نفوسهم علو الهمة، والرغبة والطموح لإدراك أسمى درجات الكمال، فالدنيا والآخرة لا تأتي إلا للعاملين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

قاسم عاشور

المدينة المنورة

غرة صفره سنة١٤٢٠هـ

۞ رسول الله ﷺ والغلام

● روى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتي بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ (أي مسنين).

فقال للغلام: **«أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟»**.

فقال الغلام: لا والله، لا أوثر بنصيبي منك أحداً.

۞ عبدالله بن عمر في صغره

● روى البخاري وغيره من عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ـ وكان دون الحلم ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟»** فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبدالله: ووقع

في نفسي أنها النخلة، فاستحييتُ، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة».

وفي رواية: فأردتُ أن أقول: (هي النخلة) فإذا أنا أصغر القوم.

وفي رواية: (ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهتُ أن أتكلم، فلما قمنا حدثتُ أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قُلتها أحبّ إليّ من أن يكون لي حُمْرُ النَعَم).

ابن عمر بن عبدالعزيز في صغره

● ورأى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ولداً له في يوم عيد، وعليه ثوب خَلق ـ أي قديم ـ فدمعت عيناه، فرآه ولده، فقال: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟

قال: يا بني، أخشى أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان بهذا الثوب الخَلق؟!

قال: يا أمير المؤمنين، إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه، أو عقّ أمه وأباه، وإني لأرجو أن يكون الله تعالى راضياً عني برضاك[1].

(١) تربية الأولاد في الإسلام (١/٣٠٥).

● روى أبو هريرة رضي الله عنه قال:

اجتمع المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم عند النبي ﷺ فقال أبو بكر: وعيْشِكَ يا رسول الله ما سجدتُ لصنم قط، فغضب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وقالَ: تقول: وعيْشِكَ يا رسول الله ما سجدتُ لصنم قطُّ، وقد كنت في الجاهلية كذا وكذا سَنَة.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: إني لما ناهزتُ الحلمَ أخذ والدي أبو قحافة بيدي، وانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام، فقال لي: هذه آلهتُكَ الشُّمُّ العُلَى فاسجُدْ لها، وخلّاني وذهب. فدنوتُ من الصنم، وقلتُ له:

إني جائعٌ فأطعمني فلم يُجبني، فقلتُ إني عطشانُ فاسقني، فلم يُجبني.

فقلتُ له: إني عار فاكسني، فلم يُجبني.

فأخذتُ صخرةً وقلتُ إني ملْقٍ عليك هذه الصخرة، فإن كنتَ إلٰهاً فامنعْ نفسك، فلم يُجبْني، فألقيتُ عليه الصخرة فخرَّ لوجهه، فأقبل والدي، وقال: ما هذا يا بُنيَّ؟

فقلتُ: هو الذي ترى، فانطلق بي إلى أمي

فأخبرها فقالت: دعْهُ فهذا الذي ناجاني به الله عزَّ وجل.

فقلتُ يا أُمَّاهُ: ما الذي ناجاكِ به الله؟

فقالت: ليلةَ أصابني المخاضُ[1] لم يكن عندي أحدٌ فسمعتُ هاتفاً يهتفُ أسمعُ الصوتَ، ولا أرى الشخصَ، وهو يقول:

يا أمةَ الله على التحقيق
أبشري بالولد العتيق
اسمه في السماء الصديق
لمحمدٍ صاحبٌ ورفيق

قال أبو هريرة: فلما انقضى كلامُ أبي بكر، نزل جبرائيلُ على النبي ﷺ، وقال: «صدق أبو بكر»، فصدَّقه ثلاث مرات[2].

● وبلغني أنّ سلمى بنت صخر، وهي أمُّ أبي بكر الصديق رضي الله عنه أرضعتْه أربع سنين، ثمَّ أرادتْ فصاله[3]، فوضعتْ على ثدْيها صبراً، فلما وجد طعمه

(١) المخاض: وجع الولادة.

(٢) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء لحجة الدين محمد بن ظفر ص(٦٤).

(٣) فصاله: فطامه.

قال: يا أُمَّاه، اغسِلي ثدْيَك، فقالت: يا بُنيَّ، إنّ لَبَني قد خسر وخَبُثَ[1] طعمُه، فقال لها: إني وجدتُ طعمِ ذلك الخُبْثِ قبل أن أمصَّ فاغسلي ثدْيَك، وإن كنتِ قد بخلت عليَّ بلبانِك، فإني أصدُّ عنه، فضمَّتْه إلى صدرها، وقبَّلتْهُ، ورشفتْهُ، ثم جعلتْ تُرَقِّصهُ، وتقول:

يا ربَّ عبدِ الكعبة[2]

أمتغ به يا ربَّهْ

فهو بصخر أشبَهْ[3][4]

علي ابن أبي طالب في صغره

● كان علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أول مَن آمن برسول الله ﷺ ـ من الصبيان، وكان عمره يناهز العاشرة، وتحمّل في ذلك مسؤولية نفسه، رغم ما سيجده من الصد، والإنكار عليه، وكان يتخفى ـ بصلاته مع رسول الله ﷺ في شعاب مكة ـ عن أبيه، وعن

---

(١) خبث: صار رديء الطعم مكروهاً.

(٢) عبد الكعبة: اسم كان لأبي بكر رضي الله عنه في الجاهلية، فسماه رسول الله ﷺ عبدالله.

(٣) فهو بصخر أشبه: تعني أباها، وهو صخر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة.

(٤) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(٦٦).

أعمامه، وسائر قومه. وكان لعلي مسؤوليات محددة يكلفه بها رسول الله ﷺ فيما يتعلق بالدعوة وبالداخلين الجدد في الإسلام وكان رسول الله ﷺ يستشيره ويأخذ رأيه في المواقف والمناسبات المشهودة، ولم يتخلف مع رسول الله ﷺ بمكة حين الهجرة إلا أبو بكر وعلي ابن أبي طالب؛ حيث مكث بأمر رسول الله ﷺ وتكليفه له - ثلاثة أيام؛ ليؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ. وقد تعوّدَ على الشجاعة والجرأة، نهجه الإقدام والمبادرة، وكان من أول المبارزين في غزوة بدر قبل أن تبدأ المعركة، بارز الوليد بن عتبة بن ربيعة فقتله، وكرَّ هو وعمه حمزة رضي الله عنهما على عتبة بن ربيعة فقتلاه.

ولا شك أن لنشأة علي وما تربى عليه أعظم الأثر فيما اتَّسَمَ به من القوة والشجاعة وتحمل المسؤولية واتخاذ القرارات الحاسمة[1].

۞ أحمد بن حنبل في طفولته

● كان عمه يرسل إلى بعض الولاة بأحوال بغداد،

---

(١) المراهقون ص(١٠٩).

ليعلم بها الخليفة، وقد أرسلها مرة مع ابن أخيه أحمد بن حنبل فتورع عن ذلك، ورمى بها في الماء تأثماً من الوشاية والتسبب لما عسى أن يكون فيه ضرر بالمسلمين. وقد لفتت هذه النجابة كثيراً من أهل العلم والفراسات، حتى قال الهيثم بن حنبل: (إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه)[1].

سيدنا عثمان بن عفان في صغره

• لما كان صغيراً، كان الأطفال في الحي ينادونه وهو يلعب فيقولون: يا ابن عفانٍ، بتنوين نون (عفان) فيغضب ويتبعهم يضربهم حتى يقولوا: يا ابن عفانَ، بفتح نون (عفان) فيرضى.

كان وهو صغير، ورفاقه صغار يفهم ويفهمون.. أنه لو نونت نون (عفان) فمعنى ذلك أن اسم أبيه (عفان) مشتق من (العَفَن) وهو الفساد.. فساد الخبز والأطعمة.. وكل شيء. لكن إن منعوا (عفان) من الصرف، ولم ينونوه ولم يجروه بالكسرة، وفتحوا نونه في الجر أبداً.. فمعنى ذلك أن الكلمة مشتقة من العفة، ويكون معنى

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(٩٠) عن (رجال الفكر والدعوة ص(١٠٥).

اسم أبيه (العفيف جداً)، فهو ابن العفيف جداً، وكذلك هو. ولكن الأطفال كانوا يغيظونه ويلعبون معه ويمازحونه، فيضربهم حتى يقولوا (يا ابن عفان) ويشهدوا لأبيه بالعفة، لا العفن.

كانوا فصحاء وكان عثمان رضي الله عنه، من صغره، منتظراً لأن يكون ثالث الخلفاء الراشدين، الشهيد، جامع القرآن، صهر النبي ﷺ. وهذه الحادثة من الآيات، فإنّ جامع قرآننا على مصحف واحد، والمشرف على قراءاته وسلامته، كان من الفصاحة والقوة اللغوية بحيث كان يفطن، منذ طفولته، للقواعد العالية الدقيقة في لغة العرب، رضي الله عنه وأرضاه، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً[1].

عبدالله بن عباس في صغره

● روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ وكان دون الحلم ـ أنه قال:

كان عمر رضي الله عنه يدخلني ـ أي في أيام خلافته ـ مع أشياخ بدر (أي في المشورة)، فكأنّ بعضهم

(١) مجلة النور (٧٩/١٣٦).

وجد في نفسه (أي غضب)، فقال: لِمَ يدخُل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟

فقال عمر: إنه من حيث قد علمتم[1]!!

فدعاني ذات مرة، فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذٍ إلا ليريهم.

قال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ ..﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً.

فقال لي: أكذلك تقول: يا ابن عباس؟

فقلت: لا.

قال: فما تقول؟

قلتُ: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ ..﴾، وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾.

(١) أي ممن خصه عليه الصلاة والسلام بالدعاء له: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**».

فقال عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تقول[1].

سمُرة بن جندب يجاهد صغيراً

● لما خرج المسلمون إلى أُحد للقاء المشركين، استعرض النبي ﷺ الجيش، فرأى فيه صغاراً لم يبلغوا الحُلم حشروا أنفسهم مع الرجال، ليكونوا مع المجاهدين في إعلاء كلمة الله، فأشفق عليهم النبي ﷺ وردّ من استصغر منهم.

وكان فيمن ردّه عليه الصلاة والسلام رافع بن خديج، وسمُرة بن جندب، ثم أجاز رافعاً لما قيل له: إنه رامٍ يُحسن الرماية.

فبكى سمرة وقال لزوج أمه: أجاز رسول الله ﷺ رافعاً وردّني مع أني أصرعه، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر، فأمرهما بالمصارعة، فكان الغالب سمُرة، فأجازه عليه الصلاة والسلام[2].

عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما

● لما هاجر النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله

(١) تربية الأولاد في الإسلام (٣٠٤/١).
(٢) تربية الأولاد في الإسلام (٣١١/١).

عنه إلى المدينة المنورة، وأقاما في غار ثور ثلاثة أيام، عملت عائشة وأسماء بنتا أبي بكر رضي الله عنهم في تهيئة الزاد لهما، وقطعت أسماء قطعة من نطاقها ـ وهو ما يشد به الوسط ـ فربطت به على فم وعاء الطعام الذي كانت تحمله، فسميت لذلك: ذات النطاقين، وعمل عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما على نقل الأخبار، فلا يسمع من قريش أمراً يبيتونه من المكروه لهما إلا وعاه رضي الله عنه حتى يأتيهما في المساء بخبره، ويبقى عندهما بعض الوقت، ثم يخرج من عندهما بالسَّحَر، ويصبح مع قريش بمكة كأنه كان نائماً فيها، ومن المعلوم أن عائشة وعبدالله رضي الله عنهما لم يبلغا الحُلم بعد.

وهذه شجاعة نادرة لم يقو عليها كثير من الرجال[1]!!

عبدالله بن الزبير

● رُوِيَ أنّ النبي ﷺ احتجم، وعنده عبدالله بن الزبير، فقال: **«يا عبدالله، اذهبْ بهذا الدم فوارِهِ[2] حيث لا يراهُ أحد»**.

(١) المرجع السابق (٣١٢/١).

(٢) فواره: أي: أخفه.

فتوارى عبدالله عن النبي ﷺ وشربه، فلما رجع قال له النبي ﷺ: «**يا عبدالله، ما صنعتَ به؟**» قال: جعلتُه يا رسول الله في أخفى مكانٍ ظننتُهُ خافياً عن الناس.

قال: «**شرِبتَه؟**».

قال: نعم، يا رسول الله، وكان عبدالله إذ ذاك صغيراً لأنه وُلد بعد مقدم النبي ﷺ المدينة، وتوفي رسول الله ﷺ وعبدالله لم يستكملْ تسعَ سنين(١).

● ومرَّ عمر رضي الله عنه بعبدالله بن الزبير وهو يلعبُ مع الصبيان، ففروا حين رأوا عمر رضي الله عنه، وثبت عبدالله، فقال عمر: ما لك لا تفرُّ مع أصحابك؟

فقال: لم أجرم فأخافك(٢)، ولم يكن في الطريق ضيقٌ فأوسع لك(٣).

● وقيل إنه كان يلعبُ مع صبيانٍ من الأنصار، وهو ابن خمس سنين، فانتهرهم رجل من سادات الأنصار ففرَّ الصبيانُ إلا عبدالله فإنّه رجع القهقرى على

---

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٠٨).

(٢) لم أجرم: لم أذنب.

(٣) المرجع السابق.

عقبيْه، وقال للصبيان: اجعلوني أميركم، وتعالوا نشدُّ على هذا الرجل جميعاً[1].

۞ زيد بن ثابت جمع بين العلم والقرآن والجهادوخدمة الرسول ﷺ

● روى الحاكم في مستدركه (٤٢١/٣) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كانت وقعة بُعاث وأنا ابن ست سنين، وكانت قبل هجرة رسول الله ﷺ بخمس سنين، فقدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن إحدى عشرة سنة وأُتيَ بي إلى رسول الله ﷺ فقالوا: غلام من الخزرج. فقرأتُ ست عشرة سورة[2]، فلم أُجز في بدر ولا أحد وأُجزتُ في الخندق. قال ابن عمر:

وكان زيد بن ثابت يكتب الكتابين جميعاً: كتاب العربية وكتاب العبرانية، وأول مشهد شهده زيد بن ثابت مع رسول الله ﷺ الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة. وكان فيمن ينقل التراب يومئذ مع المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: **«أما إنّه نعم الغلام»**. وغلبته عيناه يومئذ فرقد، فجاء عمارة بن حزم، فأخذ سلاحه وهو لا

---

(١) المرجع السابق.

(٢) وفي كنز العمال: قد قرأ سبع عشرة سورة.

يشعر، فقال رسول الله ﷺ: **«يا أبا رقاد نمتَ حتى ذهب سلاحك»**، ثم قال رسول الله ﷺ: **«مَن له علم بسلاح هذا الغلام؟»**.

فقال عمارة بن حزم: أنا يا رسول الله أخذتُهُ. فردَّه، فنهى رسول الله ﷺ أن يروع المؤمن وأن يُؤخذ متاعه لاعباً وجداً[1].

أسامة بن زيد في صغره

● وهذا أسامة بن زيد شاب يافع يشترك في غزوة الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان رسول الله ﷺ أيضاً يستشيره ويطلب رأيه في المناسبات المختلفة، وقد أَمَّرهُ رسول الله ﷺ على جيشٍ إلى الشام وأمَرَهُ أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والدوارم من أرض فلسطين، فتجهز الناس وخرجوا كلهم معه بما فيهم كبار المهاجرين والأنصار، وعندما تأخر في الخروج بسبب مرض رسول الله ﷺ استبطأ الرسول الناس في خروجه ونهرهم، لما ذكروا من حداثة سن أسامة، ولمقالتهم في إمارته على كبار الصحابة، وقد أنفذ أبو بكر جيش أسامة بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(٢٣٩).

ولقد كان رسول الله ﷺ بعيد النظر، يتولى التربية بحنكةٍ وحكمةٍ وإلهام؛ فهو ﷺ يعرف أصحابه، فقد تربَّوْا في مدرسته، وكان يرعى بعضهم - وهم صبية صغاراً - بتوجيهاته وتدريباته وتكليفاته حتى يستطيعوا أن يؤدوا المهمات الكبار وهم في فتوتهم وحداثتهم، ومن ذا الذي يقدح في قدرات علي وأسامة القيادية وحُنكتهم[١] وطول نفسهم واستعدادهم لتحمل المسؤولية واتخاذ القرارات في المواقف الحالكة[٢].

معاذ بن عمرو ومعاذ بن عفراء

● أخرج الشيخان عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إني لواقف يوم بدر في الصف، فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما.

فغمزني أحدهما فقال: يا عماه!! أتعرف أبا جهل؟

فقلت: نعم، وما حاجتك إليه؟

قال: أُخبرت أنه يسبُّ رسول الله ﷺ، والذي

(١) الحنكة: التجربة والبصر بالأمور.

(٢) المراهقون ص(١١٠).

نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده (أي شخصي، شخصه) حتي يموت الأعجل منا، فتعجبتُ لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي أيضاً مثلها، فلم ألبث أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس.

فقلتُ: أَلا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه، فقال: أيكما قتله؟

قال كل منهما: أنا قتلتُهُ، قال: هل مسحتما سيفيكما؟

قالا: لا.

قال: فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال: كلاكما قتله.

وقضى بسلبه[1] لمعاذ بن عمرو بن الجموح، والآخر معاذ بن عفراء رضي الله عنهما[2].

عمير بن أبي وقاص يجاهد صغيراً

● أخرج ابن سعد في طبقاته، والبزار وابن الأثير

---

(١) السلب: ما يملكه المقتول كعدة الحرب ونحوها.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام (٣١٢/١).

في الإصابة عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيتُ أخي عُمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلتُ: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيردّني، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعُرض على رسول الله ﷺ فردّه لصغره، فبكى فأجازه عليه الصلاة والسلام.

فكان سعد رضي الله عنه يقول: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة رضي الله عنه وأرضاه[١].

غلام زين العابدين

● ومما يُروى أنّ زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما استدعى غلاماً له، وناداه مرتين فلم يجبه، فقال له زين العابدين: أما سمعتَ ندائي؟ فقال: بلى، قد سمعت، قال: فما حملك على ترك إجابتي؟ قال: أمِنْتُ منك، وعرفتُ طهارة أخلاقك فتكاسلت؛ فقال: الحمد لله الذي أمِنَ مني غلامي[٢]!

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (٣١٣/١).

(٢) المرجع السابق (٣٦٦/١).

۞ نجابة ابن الخليفة

● سأل أحدُ الخلفاء ولده ـ وفي يده مسواك ـ ما جمع هذا؟

قال: محاسنك يا أمير المؤمنين. (ولم يقل مساويك) وهذا من الفراسة في تحسين اللفظ.

وهو باب عظيم، اعتنى به الأكابر والعلماء، وله شواهد كثيرة في السُّنَّة، وهو من خاصية العقل والفطنة(١).

۞ الإمام البخاري في صغره

● قال البخاري: أُلهمتُ حفظ الحديث وأنا في الكتَّاب، قيل له كم أتى عليك إذ ذاك؟ قال: عشر سنين أو أقل. ثم خرجتُ من الكتّاب، فجعلتُ أختلفُ إلى الداخلي وغيره. فقال يوماً: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم ـ فيما كان يقرأ للناس ـ فقلتُ: إنّ أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلتُ له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل، فنظر فيه، ثم رجع، فقال: كيف هو يا غلام؟ فقلتُ: هو الزبير وهو ابن عدي عن

(١) فراسة المؤمن ص(١٥١).

إبراهيم، فأخذ القلم وأصلح كتابه، وقال لي: صدقت.

وكان البخاري إذ ذاك ابن إحدى عشرة سنة. فلما طَعَنَ[1] في سنّه ست عشرة سنة حفظ كتاب ابن المبارك ووكيع، وبعد ذلك بسنتين، صنف كتاب قضايا الصحابة والتابعين، ثم صنف التاريخ في المدينة عند قبر الرسول ﷺ، قال حاشد بن إسماعيل: كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فلمناه بعد ستة عشرة يوماً، فقال: قد أكثرتم عليّ، فأعرضوا عليّ ما كتبتم، فأخرجناه، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه[2].

طفولة الإمام أبي يوسف صاحب أبي حنيفة

● قال علي بن الجعد: أخبرني أبو يوسف قال: توفي أبي (إبراهيم بن حبيب) وخلفني صغيراً في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصّار أخدمه، فكنت أدعُ القصّار،

---

(١) طعن في سنه: أي كبر وشاخ.

(٢) منهج التربية النبوية للطفل ص(٢٢٣).
نقلًا عن/ فيض الباري شرح صحيح البخاري للشيخ محمد أنور الكشميري (١/٣٣).

وأمرُّ إلى حلقة أبي حنيفة، فأجلس أستمع فكانت أمي تجيىءُ خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي وتذهب بي إلى القصّار، وكان أبو حنيفة يُعنى بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هَرَبي، قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أُطعمه من مغزلي، وآمل أن يكسب دانقاً[1] يعود به على نفسه.

فقال لها أبو حنيفة: مُرِّي يا رعناء[2] هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق، فانصرفتْ عنه وقالتْ له: أنت شيخ قد خرفتَ وذهب عقلك!!

قال أبو يوسف: ثم لزمتُ أبا حنيفة وكان يتعاهدني بماله، فما ترك لي خَلة[3].

فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدتُ القضاء، وكنتُ أجالس هارون الرشيد، وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام، قُدِّمَ إلى هارون الرشيد فالوذج،، فقال لي هارون: يا يعقوب، كلْ منه، فليس يُعملُ لنا مثله كل يوم، فقلتُ: وما هذا يا أمير المؤمنين؟

---

(١) دانقاً: الدانق جمع دوانق: سُدس الدرهم.

(٢) رعناء: حمقاء وهوجاء.

(٣) خَلة: أي حاجة.

فقال: هذا فالوذج بدهن الفستق، فضحكتُ، فقال لي: ممّ ضحكتَ؟ فقلتُ: أبقى الله أمير المؤمنين. قال: لتخبرني، وألحَّ عليّ، فأخبرتُهُ بالقصة من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك وقال: لعمري إن العلم ليرفع وينفع ديناً ودنيا، وترحّمَ على أبي حنيفة وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه(١).

طفولة الإمام الشافعي

● قال رضي الله عنه: لم يكن لي مال، وكنتُ أطلبُ العلمَ في الحداثة - أي في مستهل عمره - وكانت سنه من ثلاث عشرة سنة - وكنتُ أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور - أي ظهور الأوراق المكتوب عليها - فأكتبُ فيها(٢).

وحكى البويطي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه كان في مجلس مالك بن أنس رضي الله عنه، وهو غلام فجاء رجل إلى مالك فاستفتاه فقال: إني حلفتُ بالطلاق الثلاث أن هذا البلبل لا يهدأ من الصياح.

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(٢٣٦) عن كتاب (صفحات من صبر العلماء).

(٢) عن كتاب/ صفحات من صبر العلماء ص(٥٥).

فقال له مالك: قد حنثتَ، فمضى الرجل، فالتفتَ الشافعي رضي الله عنه إلى بعض أصحاب مالك فقال: إن هذه الفتيا خطأ، فأُخبر مالك بذلك، وكان مالك مهيب المجلس، لا يجسرُ أحد أن يردّه، وربما جاء صاحب الشرطة فوقف على رأسه إذا جلس في مجلسه، فقالوا لمالك: إنّ هذا الغلام يزعم أن هذه الفتيا إغفال وخطأ، فقال له مالك: من أين قلت هذا؟ فقال الشافعي: ألستَ أنت الذي رويت لنا عن النبي ﷺ في قصة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، قالت للنبي ﷺ أن أبا جهم ومعاوية خطباني، فقال ﷺ: «**أما أبو جهم فلا يضع العصا على عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له**»، فهل كانت عصا أبي جهم دائماً على عاتقه، وإنما أراد من ذلك الأغلب، فعرف مالك محل الشافعي ومقداره، قال الشافعي: فلما أردتُ أن أخرج من المدينة جئتُ إلى مالك، فودعته، فقال لي مالك حين فارقتُهُ:

يا غلام، اتّق الله تعالى، ولا تطفىء هذا النور الذي أعطاك الله بالمعاصي ـ يعني بالنور: العلم، هو قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[1][2].

---

(١) سورة النور (٤٠).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل ص(٢٣٥).

● ذكر الخطيب البغدادي عن أحمد بن النصر الهلالي قال: سمعتُ أبي يقول: كنت في مجلس سفيان بن عيينة فنظر إلى صبي دخل المسجد، فكان أهل المجلس تهاونوا به لصغر سنه، فقال سفيان: ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٩١] ثم قال:

يا نضر لو رأيتني ولي عشر سنين طولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كآذان الفار، اختلفتُ إلى علماء الأمصار، مثل الزهري وعمرو ابن دينار، أجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة، ومقلتي كالموزة، وقلمي كاللوزة، فإذا دخلتُ المجلس قالوا:

أوسعوا للشيخ الصغير، قال: ثم تبسم ابن عيينة وضحك.

قال أحمد: فتبسم أبي وضحك(١).

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(٢٣٤).
عن/ الكفاية في علم الرواية ص(١١٢).

۞ طفولة الإمام أحمد بن حنبل

● حفظ أحمد بن حنبل القرآن في صباه، وتعلم القراءة والكتابة، ثم اتجه إلى الديوان يمر على التحرير ويقول في نفسه: كنتُ وأنا غُليِّم أختلف إلى الكتّاب، ثم أختلف إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة، وكانت نشأته فيها آثار النبوغ والرشد حتى قال بعض الأدباء: وأنا أنفق على ولدي، وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا، فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم، انظروا كيف؟ وجعل يعجب من أدبه وحسن طريقه[١].

۞ طفولة الإمام محمد بن الحسن الشيباني

● روى الخطيب بسنده إلى مجاشع بن يوسف قال: كنت بالمدينة عند مالك وهو يُفتي الناس، فدخل عليه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وهو حَدَثٌ[٢]، وذلك قبل أن يرحل إليه لسماع الموطأ منه.

قال محمد:

---

(١) المرجع السابق ص(٢٣٦).
عن/ رجال الفكر والدعوة للندوي ص(١٠٥).

(٢) حَدَث: صغير السِّن.

ما تقول في جُنُبٍ لا يجد الماء إلا في المسجد؟

فقال مالك: لا يدخل الجنب المسجد، قال محمد: فكيف يصنع وقد حضرتْ الصلاة وهو يرى الماء؟

قال: فجعل مالك يكرر: لا يدخل الجنب المسجد، فلما أكثر عليه، قال له مالك: فما تقول أنت في هذا؟

قال: يتيمّم ويدخل، فيأخذ الماء من المسجد ويخرج ويغتسل.

قال: من أين أنت؟

قال: من أهل هذه ـ وجعل يشير إلى الأرض ـ ثم نهض، قالوا: هذا محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة.

فقال مالك: محمَد بن الحسن كيف يكذب؟ وقد ذكر أنه من أهل المدينة؟

قالوا: إنما قال من أهل هذه وأشار إلى الأرض، قال:

هذا أشدُّ عليَّ من ذلك[1].

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(٢٣٧).
نقلًا عن/ بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني ص(١٢).

● والآن مع قصة عجيبة وذاكرة عظيمة، حباها الله للغلام الصاعد والعلّامة القائد والمجاهد الكبير أحمد ابن تيمية رحمه الله، فيقول الحافظ محمد بن أحمد عبدالهادي في (العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية).

انبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه، واتفق أنّ بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له: أحمد بن تيمية وإنه سريع الحفظ وقد جئت قاصداً لعلّي أراهُ. فقال له خيَّاطٌ: هذه طريقُ كُتَّابه، وهو إلى الآن ما جاءَنا، فاقعدْ عندنا الساعة يجيء يَعْبر علينا ذاهباً إلى الكتَّاب. فجلس الشيخ الحلبي فمرّ صبيان، فقال الخيَّاط: ها ذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية.

فناداه الشيخ، فتناول الشيخ اللوح منه، فنظر فيه، ثم قال له: امسحْ يا ولدي هذا حتى أملي عليك شيئاً تكتبه، ففعل فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثاً، وقال له: اقرأ عليّ هذا، فلم يزد على أن تأمَّلَهُ مرّة بعد كتابه إياه، ثم دفعه إليه وقال: اسمعه

عليّ، فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع، فقال له: يا ولدي، امسخْ هذا، ففعل، فأمْلى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: اقرأ هذا، فنظر فيه كما فعل أَوّلَ مرة، ثم أسمعه إياه كالأول، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكوننّ له شأن عظيم، فإنّ هذا لم ير مثلَهُ[1].

طفولة الإمام ابن سينا في طلب العلم

● لما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن القرآن العزيز والأدب، وحفظ أشياء من أصول الدين والحساب والجبر والمقابلة، ثم أحكم علم المنطق وأقليدس[2] والمِجَسْطي[3]، وفاق شيخه ـ الحكيم أبا عبدالله الناتلي ـ أضعافاً كثيرة، وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى إسماعيل الزاهد، واشتغل بتحصيل العلوم كالطبيعي والإلهي، وفتح الله عليه أبواب العلوم، ثم رغب بعد ذلك في علم الطب، وتأمّلَ الكتب المصنفة فيه، وعالج

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(٩٦).
(٢) أقليدس: رياضي يوناني علّم الهندسة في الاسكندرية ووضع مبادىء الهندسة المسطحة (القرن ٣ ق.م).
(٣) المِجَسْطي: أقدم كتاب في الفلك وصل إلينا. ألّفهُ بطليموس ومعناه: (الأكبر) عرَّبه عن اليونانية حنين ابن إسحاق.

تأدّباً ـ أي تعلماً وتعليماً ـ لا تكسباً، وعلم الطب حتى فاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة، وأصبح فيه عديم النظير، فقيد المثيل، واخْتَلفَ إليه فضلاء هذا الفن وكبراؤه، يقرؤون عليه أنواعه والمعالجات المقتبسة من التجربة، وسِنُّهُ آنذاك نحو ست عشرة سنة.

وفي مدة اشتغاله له لم ينمْ ليلةً واحدة بكمالها، ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة، وكان إذا أشكلتْ عليه مسألة، توضأ وقصد المسجد الجامع وصلى ودعا الله عز وجل أن يُسَهِّلَها عليه، ويفتح مغلقها له، وكان نادرة عصره في عمله وذكائه وتصانيفه وصنف ما يقارب مئة مصنف ما بين مطولٍ ومختصر ورسالة في فنون شتى. رحمه الله تعالى[1].

إياس بن معاوية المزْني

● قال أبو عبيدة وغيره: تحاكم إياس وهو صبي شاب وشيخ إلى قاضي عبدالملك بن مروان بدمشق، فقال له القاضي: إنه شيخ وأنت شاب فلا تساوه في الكلام، فقال إياس: إن كان كبيراً فالحق أكبر منه، فقال

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(٢٣٨) نقلًا عن كتاب (صفحات من صبر العلماء) ص(٤٣).

له القاضي: اسكتْ، فقال: ومن يتكلم بحجتي إذا سكتُّ؟

فقال القاضي: ما أحسبك تنطق بحق في مجلسي هذا حتى تقوم.

فقال إياس: أشهد أن لا إله إلا الله، زاد غيره، فقال القاضي: ما أظنك إلا ظالماً له، فقال: ما على ظن القاضي خرجتُ من منزلي، فقام القاضي فدخل على عبدالملك فأخبره خبره فقال: اقض حاجته وأخرجْه الساعة من دمشق لا يفسد على الناس[1].

● قال بعضهم عن إياس قال: كنتُ في الكتّاب وأنا صبي فجعل أولاد النصارى يضحكون من المسلمين ويقولون: إنهم يزعمون أنه لا فضلة لطعام أهل الجنة، فقلتُ للفقيه ـ وكان نصرانياً ـ ألسْتَ تزعم أنّ في الطعام ما ينصرف في غذاء البدن؟ قال: بلى، قلتُ: فما ينكر أن يجعل الله طعام أهل الجنة كله غذاءً لأبدانهم؟

فقال له معلمه: ما أنت إلّا شيطان[2].

---

(١) البداية والنهاية (٣٣٤/٩).

(٢) المرجع السابق (٣٣٥/٩).

الرشيد والصبيّ

● أُدخل على الرشيد صبيٌّ له أربع سنين، فقال له: ما تحبُّ أن أهب لك؟ قال: حُسْن رأيك[1].

معروف بن فيروز الكرخي في صغره

● روي أنّ أبا محفوظ معروف بن فيروز الكرخي كان أبواه فارسيين نصرانيين، فأسلماه وهو صغير إلى من يعلمه كتابهم، فكان يقول له: قل أبٌ وابن وزوجة. فيقول معروف إلهٌ واحد، فيضربه المعلم ثم يعود لتعليمه، فيأبى إلا أن يقول: إلهٌ واحد.

وضربه المعلم يوماً من الأيام ضرباً مبرّحاً، فهرب معروف، فلم يطق أبواه صبراً، وكادا يهلكان جزعاً عليه وكانا يقولان: ليتنا لو وجدناه على أيّ دين كان عليه فندينُ بدينه.

ولم يزلْ (معروف) يسير في الأرض حتى لقيَ عليّ بن موسى الرضيّ، وهو غلام، فأسلم على يديه، وتولاه وخدمه مدة طويلة، ثم عاد إلى أهله بعد ذلك.

---

(١) كتاب الأذكياء ص(٢٣١).

فقرع الباب على أبويه ليلًا، فقالا: مَنْ؟

قال: معروف.

قالا قبل أن يفتحا له الباب: على أيّ دينٍ أنت؟

قال: على دين الإسلام.

قالا: ادخلْ، فنحن على دينك.

وأسلما وجمع الله شملهم على الهدى[١].

● وروي أنّ معروفاً كلَّم أبويْه في أمر دينهما بكلام كرهاهُ، فقالت أمه لأبيه: إنّ ابنك طفل لا يحسنُ هذاً الكلام، وإنما أفسده عليك بعضُ المسلمين، فاحبسْه في بيتك، فإنّ ذلك أنفعُ له.

فحبسه في خزانةٍ من بيته أياماً، ثم رقَّ عليه فأخرجه، فعاد إلى الخزانة وكان بعد ذلك لا يخرج منها إلا أن يخرجوه كرْهاً.

فقال له أبوه: إلى كم لا تبرحُ في هذه الخزانة.

فقال: إني وجدت فيها الذي زعمتما أنَّه أفسدني عليكما.

قال أبوه: مَن هذا؟ فصمت عنه.

---

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٨٥).

قال أبوه لأمه: هذا عملُكِ!! لقد خُلِطَ ولدي في عقله!!

وانطلق به إلى راهبٍ فقصَّ عليه خبره، وسأله أن يرقيَهُ ويعوِّذهُ. فقال له الراهب: مَن الذي أفسدَك على أبويك؟

قال: قلبي، ما زال يفكر في الذي فطر الأرض والسماء، ويفكر في حالهما ومآلهما.

قال الراهب: وما الذي تراه يا معروف؟

قال: أرى أنَّ واحداً عمل الأشياء كلها، ولا يصح أن يشبهه شيءٌ منها، لأنَّه لو أشبه شيئاً منها لكان معمولاً مثلها.

فقال الراهب: مكانك، حتى أخرج إليك.

ودخل صومعته فأخرج دواةً ورَقّاً[1]، ثم أعاد المسألة على معروف، وكتب جوابه، وقال لفيروز: يا فيروزُ، لولا أنك قلتَ لي: إنَّه ابني لقلتُ: إنّه من تلاميذ الملائكة، فانصرفَ فيروز بابنه مسروراً.

قال معروف: فحدثتُ بذلك مولاي علي بن موسى

(١) الرّق: جلد رقيق يكتب عليه.

الرضا، فقال: إنك من تلاميذ الملائكة(١).

داوود بن نصير الطائي في صغره

• روي أنّ أبا سليمان داوود بن نصير الطائي رحمه الله لما بلغ من العمر خمسِ سنين أسلمه أبوه إلى المؤدب، فابتدأه بتلقين القرآنِ، وكان لِقناً(٢)، فلما تعلم سورة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾(٣) وحفظها رأته أُمُه يوم جمعة مقبلًا على حائط، وهو يفكر ويشير بيده، فخافتْ عليه، وقالتْ له: قمْ يا داوود فاخرجْ والعبْ مع الصبيان، فلم يُجِبْها، فضمَّتْهُ إلى صدرها، ودعتْ بالويل.

فقال: مالكِ يا أُمَّاه؟

فقالت: أَبكَ بأسٌ؟ قال: لا.

قالت: أين ذِهْنُك؟ كلّمتُك فلم تسمعْ، قال: مع عباد الله.

قالت: فأين هم؟ قال: في الجنة.

---

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٨٦).

(٢) لقناً: يحفظ ما يسمعه سريعاً.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ١.

قالت: ما يصنعون؟ قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾[1] ومرَّ في السورة وهو شاخص ببصره كأنه ينظر إليهم حتى بلغ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ ثم قال: يا أُمَّاه؟ ما كان سعيهم؟ فلم تدْر ما تجيبُهُ به.

فقال: قومي عني حتى أتنزه عندهم ساعة، فقامَتْ وأرسلَتْ إلى والده، فجاء فأخبرتْهُ خبره، فقال له: يا داوودُ، ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أنهم قالوا: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، فكان هِجِّيرىٰ[2] داوود بعد ذلك: لا إله إلا الله محمد رسول الله[3].

۞ أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي في صغره

● روي أنّ أبا يزيد طيفور بن عيسى البسطامي رضي الله عنه لما تعلّم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾[4] قال لأبيه: يا أبتِ، مَن الذي يقول الله تعالى هذا له؟

---

(١) سورة الإنسان، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٢) الهجيرىٰ: الدأب والعادة.

(٣) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(٢١٢).

(٤) سورة المزمل، الآيتان: ١، ٢.

قال: يا بُنيَّ، ذلك النبي محمد ﷺ.

قال: يا أبتِ، مالكَ لا تصنعُ أنتَ كما صنعَ النبي ﷺ.

قال: يا بنيّ، إنّ الله تعالى خصَّ نبيه ﷺ بافتراض قيام الليل دون أمته، فسكتَ عنه.

فلمّا حفظ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾(١).

قال: يا أبتِ، إني أسمع أنّ طائفةً كانوا يقومون من الليل، فمن هذه الطائفة؟

قال له أبوه: أولئك هم الصحابة رضي الله عنهم.

قال: فلِمَ تتركُ ما فعله الصحابة؟

قال: صدقتَ يا بنيَّ، لا أتركُ إن شاء الله تعالى، فكان يقومُ من الليل ويصلي.

واستيقظ أبو يزيد ليلة فإذا أبوه يصلي فقال: علمني كيف أتطهر وأفعل مثل فعلك، وأصلي معك.

فقال له أبوه: يا بني ارقُدْ فإنك صغير بعدُ.

قال يا أبتِ: إذا كان يومُ يصدرُ الناسُ أشتاتاً ليروا

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

أعمالهم أقولُ لربي: إني قلتُ لأبي: كيف أتطهر لأصلي معك فأبى، وقال لي: ارقدْ فإنك صغيرٌ بعد.

قال أبوه: لا والله يا بُنيّ، وعلَّمَهُ فكان يصلِّي معه[1].

الحارث بن أسد المحاسبيّ في صغره

● روي أنّ امرأةً أتتْ الحارث وهو صبي يتعلم في المكتب، فسألته أن يكتب لها كتاباً، وأعطته درهماً، فكتب لها الكتاب، وردّ عليها الدرهمَ فأخذتْهُ ومضتْ، فقال له المؤدِّبُ: لم رددْتَ عليها الدرهمَ وقد استأجرتْك به؟

قال: لقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ ..﴾[2] فكتبتُ لها طاعةً لأمر الله، وما كنتُ لآخذ على طاعة الله أجراً.

قال المؤدبُ: فما منعك من أن تُعْطينيهِ حين لم تُرد أخذه؟

قال الحارث: منعني من ذلك قول الله تعالى:

---

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٩٩).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾[1].

(إنما استعمل الحارثُ بن أسد في هذه المسألة الورع. وأخذ بالحوطة لدينه فقد قال مالكٌ بكراهية أخذ الأجر على الكتابة)[2].

السَّرِيُّ بن المغَلَّس في صغره

● روي أن السريَّ بن المغلّس قرأ على مؤدبه ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾[3] فقال: يا أستاذُ، ما الوردُ؟ فقال المؤدب: لا أدري.

وقـــرأ: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾[4].

فقال: يا أستاذُ، ما العهد؟

فقال المؤدبُ: لا أدري.

فقطع السَّرِيُّ القراءة، وقال: إذا كنتَ لا تدري فلِمَ غَرَرْتَ الناس؟

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٣.

(٢) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٩٧).

(٣) سورة مريم، الآية: ٨٦.

(٤) سورة مريم، الآية: ٨٧.

فضربه المؤدبُ: فقال السَّريُّ: يا أُستاذُ، ألم يكْفِكَ الجهل والغرور حتى أضفتَ إليهما الظلم والأذى؟.

فاتعظ المؤدبُ، وَتَابَ إلى الله من التأديب، وأقبل على طلب العلم، وكان يقول: إنما أعْتَقَني من رِقِّ الجهل السَّرِيُّ[1].

ابنة حاتم بن الأصم

● كان لحاتم بن الأصم أولاد، فقال لهم: إني أُريد الحج هذا العام. فبكوْا، وقالوا: إلى من تكلنا يا أبانا؟

فقالت إحدى بناته: كفوا عن البكاء ودعوا أبانا يحج، فليس هو برازق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[2].

نام الأولاد جياع وجعلوا يلومون أختهم فقالت: اللهم لا تؤجرني بينهم. فمرّ أمير البلد بهذا المكان وطلب ماءً، فناوله أحدهم كوزاً جديداً وفيه ماء بادر، فشرب الأمير، فسأله الأمير: دار من هذه؟

قال: دار حاتم بن الأصم، فرمى الأمير قطعة من

---

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٩٢).

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

ذهب، وقال لأصحابه: مَن أحبني فَعَلَ مثلي، فرموا كلهم مثله. بكت بنت حاتم الأصم فقالت لها أمها: ما يبكيك وقد وسع الله علينا؟

فقالت: يا أماه، مخلوق نظر إلينا فاستغنينا وشكرنا، فما ظنُّك بالله جلّ وعلا لو نظر إليْنا[1]؟

ابن المامون

● نظر المأمون إلى ابن صغير له في يده دفتر، فقال: ما هذا بيدك؟ فقال: بعض ما تسجل به الفطنة وينبه من الغفلة ويؤنس من الوحشة، فقال المأمون: الحمد لله الذي رزقني من ولدي من ينظر بعين عقله أكثر ما ينظر بعين جسمه وسنّه[2].

دَغْفَل بن حنظلة السدوسيّ في صغره

● روىٰ ابن عباس، قال: حدثني علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما أُمِرَ رسول الله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر، فدُفِعنا إلى مجلسٍ من مجالس العرب، فتقدم أبو

(١) دليل السائلين ص(١٣٩).

(٢) كتاب الأذكياء ص(٢٣١).

بكر وكان نسَّابة فتسلَّم فردُّوا عليه السلام، فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة، فقال: أمِنْ هامتها أم من لَهَازمها؟ قالوا: من هامتها العظمى، قال: فأيُّ هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: ذُهْلٌ الأكبر، قال: أفمنكم عوف الذي يقال له لا حُرَّ بوادي عَوْف؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم بسْطام ذو اللواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم جسَّاس بن مرَّة حامي الذِّمار ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم الحوْفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسَها؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم المزدَلف صاحب العمامة الفَرْدة؟ قالوا: لا، قال: أفأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا، قال: فلستم ذُهْلًا الأكبر، أنتم ذهل الأصغر، فقام إليه غلام قد بَقَلَ وَجْهُهُ يقال له دغفل، فقال:

إنّ على سائلنا أن نسألَه

والعِبءُ لا تعْرِفُهُ أو تحمِلُهْ

يا هذا، إنك قد سألتنا فلم نكتمك شيئاً فمن الرجل أنت؟ قال: رجل من قريش، قال: بخ بخ أهل الشرف والرياسة، فمن أي قريش أنت؟ قال: من تيْم بن مُرَّة، قال: أمكنْتَ والله الرامي من صفاء الثغرة، أفمنكم قصيّ بن كلاب الذي جمع القبائل من فِهر وكان يُدْعى مجمِّعاً؟ قال: لا، قال: أفمنكم هاشم الذي هشم الثريد

لقومه ورجالُ مكة مُسْنتون عجَاف[1]؟ قال: لا. قال: أفمنكم شيْبةُ الحمد مُطعم طير السماء الذي كان في وجهه قمراً يضيء ليل الظلام الداجي؟ قال: لا، قال: أفمن المفيضين بالناس أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الرفادة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل السِّقاية أنت؟ قال: لا، قال: واجتذب أبو بكر زمام ناقته فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال دغفل: صادف درأ السيل دَرْأ يصدعُهُ، أما والله لو ثبتَّ لأخبرتك أنك من زَمَعَاتِ قريش أو مَا أنا بدغفل، قال: فتبسَّم رسول الله ﷺ، قال علي: قلتُ لأبي بكر: لقد وقعْتَ من الأعرابي على باقِعَةٍ، قال: أجَلْ إنّ لك طامَّة طامة، وإنّ البلاء مُوكل بالمنطق[2].

النوري في صغره

● روي أنّ أبا الحسين أحمد بن محمد المدعُوَّ بالنُّوريِّ لما قرأ القرآن الكريم ألزمه أبوه أن يكون معه في حانوته. فكان إذا أصبح أخذ ألواحه ودواةً، وذهب يسأل

(١) مستون عجاب: أصابهم القحط والجدب.

(٢) مجمع الأمثال للميداني (١/١٧).

عما جهل من كتاب الله تعالى، ويكتبُ ما يُقال له، ثم يأتي أباه.

وإذا بعثه من الحانوت في حاجةٍ أخذ ألواحه ودواةً معه فيسألُ من مرَّ به من أهل العلم فإذا غاب يزجره أبوه لغيبته ويتهدده، وربما ضربه على ذلك أحياناً.

وتكرر ذلك فقال له أبوه: ليت شعْري يا بُني ما تريد بعلمك هذا؟

قال: أريدُ أن أعرف الله تعالى، وأتعرف إليه.

فقال: كيف تعرفه؟

قال: أعرفُهُ بتفهم أمره ونهيه.

وكيف تتعرف إليه؟

قال: أتعرف إليه بالعمل بما علمني.

قال أبوه: يا بني، لا أعرضُ لك في أمرك هذا ما بقيتُ[1].

● ورآه وهو صبيّ شرطيّ من جيرانه يمشي في خرابةٍ ويبكي، فظنه الشرطيُّ ضائعاً.

فقال له: إلى أين يا أحمدُ؟

---

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(٢٠٦).

قال: والله ما أدري إلى أين.

قال الشرطي: ما أبكاك؟

قال: أبكاني أني لا أدري إلى أين.

قال الشرطي: فاتَّبعني أهدك.

قال أحمد: بل أنت اتبعني أهدك صراطاً سويّاً.

ففطن الشرطي لما أراد، وقال له: يا أحمد كيف تهديني صراطاً سويّاً، وأنت لا تدري إلى أين؟

فقال أحمد: إني الآن على صراطٍ مستقيم، ولكن لا أدري ما يكون غداً. فاتّعظ الشرطي بكلامه وتاب[1].

● ومن عجيب أخباره أن ساعياً سعى به وبإخوانه من الصوفية عند بعض الأمراء، وزعم أنهم زنادقة، فقبض عليهم وأُحْضِرُوا إلى دار الإمارة، وأُمر بضرب أعناقهم، وبُسِط النِّطْعُ[2]، وحضر السَّيَّاف، وتقدم أحمد النوريُّ إلى السياف، فقال له: أتدري إلى ماذ تتقدمُ؟

قال النوريُّ: نعم، أتقدم إلى الموت.

قال له: ولِمَ تتعجَّلُ الموت؟

---

(١) المرجع السابق ص(٢٠٧).

(٢) النطع: جلد يفرش لينفذ فوقه الحكم بقتل الجاني.

قال النوري: لأني أريد أن أوثر أصحابي على نفسي ولو بحياة ساعة.

فنخر[1] السياف كما تنخرُ السَّفَلَةُ، وأَغْمدَ السيف، وقال: أنا أقتلُ سيِّدَ الفتيان؟ لا كان هذا أبداً!!

وأُخْبِر الأميرَ فعجب بما جرى من ذلك، ودعا القاضي لهم، وردّ أمرهم إليه، فسأل القاضي النوريَّ عن مسائل في الفقه، فأجاب عنها فأحسَنَ، وأتبع كلامه بأن قال: إنّ لله عباداً أخلصهم لولائِه، فإذا قاموا قاموا لله، وإذا نطقوا نطقوا بالله، يعملون بالعلم، ويُعَبِّرون عن الحقائق، قد راضوا أنفسهم على التفويض إلى الله، وأَخْرَجُوا منها السخط لمكروه القضاء، ما لم يُثْلَمْ لهم ديناً، أو يُوهَنْ منهم يقيناً.

فبكى القاضي، وقال للأمير: إنْ كان هؤلاء زنادِقة فما على وجه الأرض مسلم[2].

● يقول الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي عن الإمام النوري:

---

(١) نخر: أحدث صوتاً يشبه الشخير ولا يفعل ذلك إلا غير مهذب.

(٢) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(٢٠٨).

رأيتُ الشيخ وهو ابن عشر سنين بنوى[1] والصبيان يُكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكي ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي محبته، وكان قد جعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، فأتيتُ معلمه فوصيته به وقلتُ له:

إنه يُرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع به الناس. فقال لي: أمنجم أنت؟

فقلتُ: لا. وإنما أنطقني الله بذلك، فذكر ذلك لوالده فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الحلم[2].

نجابة عمرو الأشدق منذ الصغر

● روي أنّ سعيد بن العاص كان يتفرس النجابة في ولده عمرو، وكان يفضّله على بنيه، ولما ترغرعَ جمع سعيد بنيه سوى عمرو، وكانوا نحواً من خمسة عشر رجلًا.

وقال لهم: يا بني، قد عرفتم خبرة الوالد بولده،

---

(١) نوى: بلدة من أعمال حوران.

(٢) منهج التربية النبوية للطفل ص(١١١) نقلًا عن/ الطبقات الكبرى لابن السبكي (٨/٣٩٦).

وإنَّ أخاكم عمراً لذو همَّةٍ واعدةٍ يسمو جدُّه، ويبعد صيتُه، وتشتدُّ شكيمتُه، وإني آمرُكم إنْ نزل بي الموتُ بمظاهرته[1] فإنكم إنْ تفعلوا ذلك يتألفْ بكم الكرامُ. ويخسأ عنكمُ اللئامُ، ويُلبسْكم عزاً لا تنهجُه الأيام.

فقالوا له: إنك لتحابيه دوننا.

فقال: سأريكم ما ستره البغيُ عنكم، وصرفهم.

وأمهلَ ريثما ظنَّ أن قد ذُهِلوا عما كان، حتى إذا راهقَ عمروٌ استدعاهم دونه، فلما حضروا، قال: يا بنيَّ، ألم تروا إلى أخيكم، لا يزال يُلْحِفُ في مَسألتي، فأَحنو عليه لصغره، وأَحبوهُ بالشيء بعد الشيء، ثم ها هو قد أَتى يسألني الصَّمصامة[2]، كأن لا ولد لي سواه، ولقد علمتُ أنَّ أمه تأمره بذلك، وإني قد عزمتُ على أن أقسم ما لي فيكم دونه لتنظر أمُّه من تكيد.

فقالوا بأجمعهم: ألم نقل لك إنك تحابيه دوننا، وقد زُيّن في عينيك منه شائن، ونفق عندك منه كاسد.

فقال سعيد: يا بني، والله ما آثرتُهُ عليكم بشيءٍ من

---

(١) بمظاهرته: بمساعدته والالتفاف حوله والأخذ برأيه.

(٢) الصمصامة: هي سيف عمرو بن معدي كرب الزبيدي الذي يضرب به المثل.

مالي قط، ولا كان ما قلتُه إلا كلاماً لا حقيقة له لما أمّلْتُه من صلاح أمركم. وأمرهم أن يدخلوا مخدعاً في البيت ففعلوا.

ثم أرسل إلى عمرو، فلما حضر قال: يا بُنيَّ، إني عليك حَدِبٌ شفيقٌ لصغر سنك، ونفاسة[1] إخوتك على مكانك مني، وإني لا آمنُ بغتةَ الأجل، ولي كنز ادَّخرتُه لك دون إخوتك، وهٰأنا أُطلعك عليه فاكتمْ أمره.

فقال: يا أبتِ، طال عمرك، وعلا أمرك، إني لأرجو أن يُحسِنَ الله عنك الدفاع، ويطيل بك الإمْتاع، أمّا ما ذكرتَ من شأن الكنز فما يُعجبني أن أقطعَ دون إخوتي أمراً، وأزدرِعَ في صدورهم غِمْراً[2] فقال: انصرف يا بُني، فداك أبوك، فوالله ما لي من كنز، ولكني أردتُ أن أبْلوَ[3] رأيك في إخوتك وبني أبيك، وصرفه وخرج إخوتُه من المخدع فاعتذروا إلى أبيهم، وأعطوْه موثقاً على طاعة أمره فيما أشار عليهم به[4].

● وروي أنّ سعيداً هذا لما أحسَّ بالموت جمع

---

(١) النفاسة: أي الحسد.

(٢) الغِمْر: هو الحقد والضغْن.

(٣) أبلو: أختبر وأعرف.

(٤) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٣٥).

بنيه، وقال: يا بنيَّ: من يكن وصيي فيكم؟ فسكتوا لما يعلمون من كثرة بناته، وما ركبه من الدِّين.

وأعاد عليهم القول فسكتوا، فقال عمروٌ: أنا وصيُّك يا أبتِ، فبِمَ توصي؟

فقال: إني أُوصي في ثلاث.

قال عمرو: ما هنَّ؟

قال: إنّ علي ثلاثمائة ألف درهم ديناً، وقيل إنَّه ذكر أكثر من هذا.

قال عمرو: نعم، هذه واحدة قد حملتُها، فما الثانية؟

قال سعيدٌ: تُنْكح بناتي أكفاءَهنّ.

قال عمروٌ: نعم، فما الثالثة؟

قال سعيد: وإخواني الذين كنتُ أَبَرُّهم وأتعهّدهم بمعروفي لا يقطعُ ذلك عنهم.

قال عمرو: نعم نعم، قد فعلتُ.

قال سعيد: أما والله يا بُني، لئن فعلت، لقد طالما تأَمَّلتُ ذلك في حماليق عينيك وأنت في المهد.

ثم إن عمراً وفىٰ لأبيه بما عهد إليه[1].

الصحابي واليتيم

● دخل أحد الصحابة مسجداً، فاستوقف نظره طفل لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره قائم يصلي بخشوع، فلما فرغ من صلاته سأله الصحابي: ابن من أنت يا هذا؟ فقال الصبي: إني يتيم، فقال الصحابي: أترضى أن تكون لي ولداً؟ فقال الصبي: هل تطعمني إذا جعتُ؟ قال الصحابي: نعم، قال: هل تسقيني إذا عطشتُ؟ قال الصحابي: نعم، قال: وهل تكسوني إذا عريت؟ قال الصحابي: نعم، قال: وهل تحييني إذا متُّ؟ فدهش الصحابي وقال: هذا ما ليس إليه سبيل، فقال الصبي: فاتركني إذن للذي خلقني ثم يرزقني ثم يميتني ثم يحييني.

فانصرف الصحابي وهو يقول: (لعمري من توكل على الله كفاه)[2].

سخاء غلام

● خرج عبدالله بن جعفر إلى ضيعة له، فنزل على

(١) المرجع السابق ص(١٣٧).

(٢) مجلة العربي (١٥٣/٤٠٧).

أرض نخيلٍ لقوم، فيها غلام أسود يقوم عليها، ويرعاها بأجر لا يتجاوز خبز يومه، وعندما أتى بأرغفته الثلاثة وجلس ليأكل، دخل كلب فدنا منه، فرمى إليه برغيف فأكله، ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكلهما، وعبدالله ينظر إلى الغلام متعجباً، فقال له: يا غلام، كم قُوتك كل يوم؟

قال: ما رأيت. قال: فلِم آثرتَ الكلبَ؟ قال: لأن أرضنا تخلو من الكلاب، وأظنه قد جاء من مسافة بعيدة جائعاً، فكرهتُ ردَّه!!

قال عبدالله: فما كنت صانعاً اليوم؟ قال الغلام: أطوي يومي ولا أطعم شيئاً! فقال عبدالله بن جعفر: والله إنّ هذا لأسخى مني، فاشترى النخل والعبد، وأعتقه ووهب ذلك له[1].

۞ عبدالله بن عباس

● وهذا ابن عباس يتفاخر أنه قرأ المحكم على عهد رسول الله ﷺ وهو طفل صغير. فقد ذكر ابن كثير في فضائل القرآن، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

---

(١) مجلة العربي (١٩٤/٤٥٦).

توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأتُ المحكم[(١)].

۞ عمر بن عبدالعزيز ورجل حديث السن

● استعمل عمر بن عبدالعزيز رجلًا، فقيل له: إنه حديث السن ولا نراه يضبط عملك؛ فأخذ العهد منه وقال: ما أراك تضبط عملك لحداثتك؛ فقال الفتى:

وليس يزيد المرءَ جهلًا ولا عمى

إذا كان ذا عقلٍ حداثةُ سنّهِ

فقال عمر: صدق، وردّ عليه عهده[(٢)].

۞ الجُنيد

● قال الجُنيد: كنتُ بين يدي السَّريِّ ألعبُ وأنا ابنُ سبع سنين، فتكلموا في الشكر، فقال: يا غلام ما الشكر؟

قلتُ: أن لا يُعصى الله بنعمه، فقال: أخشى أن يكن حظك من الله لسانُك.

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(١٠٦).

(٢) العقد الفريد (٩٨/٢).

قال الجنيد: فلا أزال أبكي على قوله[1].

غلمان أهل البحرين

● روى شهاب الدين الأبشيهي في كتابه (المستطرف) قصة لطيفة في معناها ومبناها وهي أن غلماناً من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد، فوقعت الكرة على صدره فأخذها، فجعلوا يطلبونها منه، فأبىٰ، فقال غلامهم: سألتك بحق محمدٍ ﷺ إلا رددْتها علينا، فأبىٰ لعنه الله وسبَّ الرسول ﷺ، فأقبلوا عليه بصواليجهم، فما زالوا يخبطونه حتىٰ مات لعنه الله. فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف، وقال: الآن عزّ الإسلام، أن أطفالًا صغاراً شُتم نبيهم، فغضبوا له وانتصروا، فأهدر دم الأسقف[2].

سفيان بن عيينة في خدمة العلماء

● ذكر صاحب المحدث الفاضل، روى سفيان بن

---

(١) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء (١٠٢١/٢).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل ص(٩٤) عن (حاشية ابن عابدين) (٢١٣/٤).

عيينة قال: كان أبي صيرفياً بالكوفة فركبه الدين فحملنا إلى مكة ورجعنا إلى المسجد لصلاة الظهر وصرتُ إلى باب المسجد، إذا شيخ على حمار، فقال لي: يا غلام، أمسكْ عليّ هذا الحمار حتى أدخل المسجد فأركع، فقلتُ: ما أنا بفاعل أو تحدثني، قال: وما تصنع أنت بالحديث؟ واستصغرني، فقلتُ حدثني، فقال: حدثني جابر عن عبدالله وحدثنا ابن عباس، فحدثني بثمانية أحاديث، فأمسكتُ حماره، وجعلتُ أتحفّظُ ما حدثني به، فلما صلى وخرج، قال: ما نفعك ما حدثتك به حبستني، فقلتُ حدثتني بكذا، وحدثتني بكذا، فرددتُ عليه جميع ما حدثني به، فقال: بارك الله فيك، تعال غداً إلى المجلس، فإذا هو عمرو بن دينار[1].

طفل صغير يعظ أبا حنيفة

● قد سار السلف الصالح على قبول الحق من الصغير مهما كان نوعه. فهذا أبو حنيفة رضي الله عنه اتعظ بمقالة طفل صغير حينما رأى الإمام الطفل يلعب بالطين فقال للطفل: إياك والسقوط في الطين، فقال

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(٩٧) عن (أصول الحديث لعجاج الخطيب ص(١٦)).

الغلامِ الصغير للإمامِ الكبير: إياكَ أنتَ من السقوط؛ لأنّ سقوطَ العالِم سقوطُ العالَم، فما كان من أبي حنيفة إلا أن تهتزَّ نفسه لهذه المقولة، فكان لا يُخرج فتوى ـ بعد سماعه هذه المقالة من الطفل الصغير ـ إلّا بعد مدارستها شهراً كاملًا مع تلامذته[1].

غُشي على أبي حنيفة من طفل آخر

● قال مسعر: كنت أمشي مع أبي حنيفة فوطىء على رجْل صبيّ لم يره، فقال الصبيّ لأبي حنيفة: يا شيخ ألا تخاف القصاصَ يوم القيامة؟ قال: فغُشي على أبي حنيفة، فأقمتُ عليه حتى أفاق، فقلتُ له:

يا أبا حنيفة، ما أشدّ ما أخذ بقلبك قول هذا الصبيّ.

قال: فقال: أخاف أنه لُقِّن[2].

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(٣٢١).
نقلًا عن/ مقدمة حاشية ابن عابدين (٦٧/١).

(٢) المرجع السابق ص(٣٢١).
نقلًا عن/ مناقب أبي حنيفة للإمام الموفق بن أحمد المكي ص(٤٠٦).

ابنة الإمام مالك بن أنس

● قال الزبيدي: كانت لمالك بن أنس ابنة تحفظ علمه، يعني الموطأ، وكانت تقف خلف الباب، فإذا أخطأ التلميذ نقرتْ الباب فيفطن مالك فيردّ عليه[1].

الشافعي

● يقول الشافعي رحمه الله: حفظتُ القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظتُ الموطأ وأنا ابن عشر[2].

سهل بن عبدالله التستري

● ويقول سهل بن عبدالله التستري: فمضيتُ إلى الكُتَّاب، فتعلَّمتُ القرآن وحفظتُهُ وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين[3].

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(٩٩) عن كتاب/ الديباج المذهب لابن فرحون المالكي.

(٢) المرجع السابق ص(١١١) نقلًا عن/ طبقات الحفاظ للسيوطي ص(١٥٤).

(٣) المرجع السابق ص(١١١) نقلًا عن/ الإحياء للإمام الغزالي (٧٢/٣).

ابن سينا

● أما ابن سينا فلما بلغ عشر سنين من عمره، كان قد أتقن القرآن العزيز[١].

طفولة عجيبة في حفظ القرآن

● قال إبراهيم بن سعيد الجوهري: رأيتُ صبياً ابن أربع سنين قد حُمل إلى المأمون، قد قرأ القرآن ونظر في الرأي غير أنه إذا جاع يبكي[٢].

يزيد بن معاوية

● روي أن معاوية بن أبي سفيان قال لابنه يزيد، وله من العمر سبعُ سنين:

في أية سورةٍ أنت؟

قال: في السورة التي تلي: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ

(١) المرجع السابق ص(١١١) نقلًا عن/ صفحات من صبر العلماء (١٥٢/١).

(٢) المرجع السابق ص(١١٢) نقلًا عن/ الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص(١١٦).

نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح: ١ ـ ٣].

فقال معاوية: يا بني إنّ هذه السورة بين سورتين، فأيتهم عنيتَ؟ قال: السورة التي أولها: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾ [محمد: ٢][١].

● وقال له يوماً: أيضربك المعلم يا يزيد؟

قال: لا، يا أمير المؤمنين.

قال: ولِمَ؟

قال: لأنه استنَّ في العدل بسنَّةِ أمير المؤمنين[٢].

● وقال له يوماً: لو قال لك قائلٌ: من قومك؟ ماذا تقول له؟ قال: أقول له: سلاماً.

قال: أحسنتَ.

وإنما أراد يزيد قول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣][٣].

---

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٣٠).

(٢) المرجع السابق ص(١٣١).

(٣) المرجع السابق ص(١٣١).

● وكان لمعاوية رحمه الله ولد مضعُوفٌ اسمه عبدالله. فبينما معاوية جالس مع أم عبدالله مرّتْ بهما أُمُّ يزيد وهي ميسون بنت بحدل الكلبية، وكانت حمشاء تخفي حمشها، وهو دقة الساقين، فقالت أُمُّ عبدالله: لعن الله حمش ساقيها، فغضب معاوية، وقال لها: أوَ قد رأيتِ ذلك منها؟

قالت: نعم.

قال معاوية: أما والله ـ على ذلك ـ لما انفرجت عنه ساقاها خيرٌ مما انفرجتْ عنه ساقاك ـ يريد أن ولدها خير من ولدك.

فقالت أمُّ عبدالله: لا واللهِ، ولكنك تحب ولدها وتحابيه.

قال: سأريك ذلك عياناً.

ثم أحضر ابنها عبدالله فقال له: يا ولدي إني أقضي لك كل حاجةٍ فلا تدعنَّ حاجةً إلا ذكرتها.

فقال: يا أمير المؤمنين، اشتر لي حماراً.

فقال: يا بُني، أنت حمارٌ، وأَشتري لك حماراً؟!!

ثم أحضر يزيد، وقال له: يا بُني، إنّ أمير المؤمنين قد بسط أملَك، فاذكر حاجتك إن كانت لك حاجة.

قال: الحمد لله على جميل رأي أمير المؤمنين فيّ، ثم قال: يا أمير المؤمنين، اجعلْ إليّ العهد.

قال: قد فعلتُ، أنت وليُّ عهدي، فهل لك حاجةً أخرى.

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، تزيد كل رجلٍ من أهل الشام في عطائه عشرة دنانير، وتُعلمُهم أنّ ذلك بشفاعتي.

قال: قد فعلتُ، فهل لك حاجةً أخرى؟

قال: نعم، يفرضُ أميرُ المؤمنين لأولاد مَنْ قُتِلَ بصفين وغيرها.

قال: قد فعلت، فهل غير هذا؟

قال: ويجعلُ أمير المؤمنين غزو الصائفة العامَ إليّ لأفتتح أمري بتجهيز الجيوش في سبيل الله.

قال: قد فعلتُ.

فلما رأتْ أُمُّ عبدالله أنّ يزيد قد حصل على الخلافة قالت: يا أمير المؤمنين، أنت أعلمُ بولدك، فأوصِهِ بي وبولدي. وقام يزيد يدعو الله لوالده، وذهب. فتمثل معاوية بقول القائل:

إذا مات لم تفلحْ مُزينة بعده

فنُوطي عليه يا مُزَيْنَ التمائما[١]

۞ عبدالملك بن مروان في صغره

● روي أن عبدالملك بن مروان دخل على معاوية رحمه الله، فقام بباب المجلس، وأبوه مروان جالسٌ فسلّم على معاوية فَلَهَا عنه[٢]، فقال له أبوه: ادخلْ، فنكسَ رأسَه، فأعاد استدعاءَهُ مراراً فقال: يا أبتِ، إنَّ هذا مجلسُ أمير المؤمنين، وقد رأى مقامي.

فنظر إليه معاوية وأمره بالدخول والجلوس. ثم أقبل على مروان وقال: كم سنُّه؟ قال: اثنتا عشرة سنة. قال معاوية: إذا بلغ فآذِنّي، ففعل، فولاه معاوية على ديوان المدينة وعمرُهُ ست عشرة سنة، وهذا عملٌ نفيسٌ كان يتولاه زيد بن ثابت صاحب رسول الله ﷺ[٣].

● وروي أن عبدالملك دخل على معاوية رحمه الله وعنده عمرو بن العاص، فسلَّم وجلس جلوساً خفيفاً، ثم نهض فذهب.

---

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٣٣).

(٢) فَلَهَا عنه: انشغل عنه.

(٣) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٤١).

فقال معاوية لعمرو: ما أكمل مُروءة هذا الفتى، وأخْلِقْ به أن يبلُغَ.

فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا الفتى أخذ بخلائق أربع، وترك ثلاثاً: أخذ بأحسن الحديث إذا حدَّث، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأحسن المؤونةِ إذا خُولِفَ، وبأحسن البِشْر إذا لَقِي. وترك ممازحة من لا يوثَقُ بعقله ولا دينه، وترك مخالطة لئام الناس، وترك مِن الكلام ما يعتذرُ منه[1].

● وقال أبو الحسن: أربى غلامٌ من بني عليّ[2]، على عبدِالملك، وعبدُالملك يومئذ غلام، فقال له كهلٌ من كهولهم لما رآه مُمْسِكاً عن جواب المربى عليه: لو شكوتَه إلى عمه انتقم لك منه. قال: أمسكْ يا كهلُ؛ فإني لا أَعُدُّ انتقام غيري انتقاماً[3].

● قال أبو الحسن: خاضَ جلساءُ عبدالملك يوماً في قتل عثمان، فقال رجل منهم: يا أمير المؤمنين، في أيِّ سِنِيك كنت يومئذٍ؟ قال: كنتُ دون المحْتَلم، قال:

---

(١) المرجع السابق ص(١٤١).

(٢) أربى عليه: أي زاد عليه في الكلام والجدال، وبنو علي هؤلاء، هم بنو علي بن بكر بن وائل.

(٣) البيان والتبيين (٢/٣٢١).

فما بلغ من حزنك عليه؟ قال: شغلني الغضبُ له عن الحزن عليه[1].

عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز

● قال ابن عبدالحكم: أعان الله عمر بن عبدالعزيز بثلاثة أحدهم ابنه عبدالملك، كانوا أعواناً له على الحق وقوة له على ما هو فيه. ولما ولي عمر، قال عبدالملك:

أراك يا أبتي قد أخَرْتَ أموراً كنتُ أحسبُك لو وليتَ ساعة من النهار عجلتها! ولوددتُ أنك قد فعلتَ ذلك ولو فارتْ بي وبك القدور! واتّهمه أبوه بتسرع الحداثة[2].

قال له عمر: لا تعجل يا بنيّ، فإنّ الله تعالى ذمّ الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة[3].

عمر بن عبدالعزيز ووفد العراق

● حدّث العتبي عن سفيان بن عُيينة قال: قدم على

(١) المرجع السابق (٣٢١/٢).
(٢) الأعلام للزركلي (١٦١/٤).
(٣) العقد الفريد (٣٠/١).

عمر بن عبدالعزيز ناسٌ من أهل العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحوش للكلام، فقال: أكبروا أكبروا.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنه ليس بالسن، ولو كان الأمر كله بالسنّ لكان في المسلمين من هو أسنُّ منك. فقال عمر: صدقتَ رحمك الله، تكلم. فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لم نأتك رغبة ولا رهبة؛ أما الرغبة فقد دخلتْ علينا منازلنا وقدمتْ علينا بلادنا؛ وأما الرهبة فقد أَمَّنَنَا الله بعدلك من جورك.

قال: فما أنتم: وفد الشكر. قال: فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر يتهلل، فقال: يا أمير المؤمنين؛ لا يَغْلبنّ جهلُ القوم بك معرفتك بنفسك؛ فإنّ ناساً خدعهم الثناء وغرهم شكر الناس فهلكوا، وأنا أُعيذك بالله أن تكون منهم.

فألقى عمر رأسه على صدره[1].

إياس بن معاوية

● قيل إن المهدي لما دخل البصرة رأى إياس ابن معاوية وهو صبي، وخلفه أربعمائة من العلماء والفضلاء وإياس يقدمهم.

---

(١) المرجع السابق (١٣/٢).

فقال المهدي:

أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحديث.

ثم التفت إليه وقال: كم سنك يا فتى؟

فقال: سنّي ـ أطال الله بقاء الأمير ـ سِنُّ أُسامة ابن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله ﷺ ـ جيشاً فيهم أبو بكر وعمر.

فقال له: تقدمْ بارك الله فيك[1].

۞ درواس بن حبيب والخليفة هشام

● قحطتِ البادية في أيام هشام بن عبدالملك، فقدمت القبائل إلى هشام، ودَخلوا عليه، وفيهم (درواس بن حبيب) وعمره أربع عشرة سنة، فأحجم القوم، وهابوا هشاماً، ووقعت عين هشام على (درواس) فاستصغره، فقال لحاجبه: ما يشاء أحد أن يصل إليّ إلا وصل، حتى الصبيان؟!

فعلم (درواس) أنه يريده، فقال يا أمير المؤمنين: إن دخولي لم يُخلّ بك شيئاً ولقد شرّفني، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمرٍ أحجموا دونه، وإنّ الكلام نشْرٌ،

(١) مجلة الوعي الإسلامي (٢٦٢/٦٤).

والسكوت طيّ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره، فقال هشام: فانشرْ لا أبا لك!! وأعجبه كلامه، فقال يا أمير المؤمنين: أصابتنا ثلاث سنين: فسنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة نَقَّتْ العظم، وفي أيديكم فضول أموال: إن كانت لله ففرقوها على عباد الله المستحقين لها، وإن كانت لعباد الله فعلام تحبسونها عنهم؟

وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين.

واعلم يا أمير المؤمنين: أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد، لا حياة للجسد إلا به.

فقال هشام: ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً، وأمر أن يقسم في باديته مائة ألف درهم. وأمر لدرواس بمائة ألف درهم.

فقال يا أمير المؤمنين: اردها إلى أعطية أهل باديتي فإني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن كفايتهم، فقال: فما لك من حاجة تذكرها لنفسك؟ قال مالي من حاجة دون عامة المسلمين!

وهذا نموذج يبين ما كان عليه أولاد السلف من أدب الكلام، وحسن الخطاب، وجمال القول، لتعلموا ـ أيها

الآباء ـ كيف كان الأولاد في الماضي يتحدثون ويتكلمون[1].

۞ عمر بن عبدالعزيز والغلام (المرء باصغريه، قلبه ولسانه)

● دخل على عمر بن عبدالعزيز في مبدأ ولايته وفودُ المهنئين، فتقدم وفد الحجازيين بين يديه، فقام من بينهم غلام لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، وأراد أن يتكلم عن قومه، فقال له عمر: اجلس أنت وليقمْ مَن هو أسنُّ منك، فقال الغلام:

أيّدك الله يا أمير المؤمنين، المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً، فقد استحقّ الكلام، ولو أنّ الأمر يا أمير المؤمنين بالسِّن لكان في الأمة مَن هو أحق منك بمجلسك هذا.

فسُرَّ عمر من حُسْن جوابه، وفصاحة لسانه، وأكرمه، وسمع منه شكاة فئته، وقضى حوائجهم.

والناس ألفٌ منهمو كواحدٍ
وواحدٌ كالألف إنْ أمرٌ عنا[2]

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (١/١٩٠).

(٢) المفرد العلم ص(٧٣).

ابنة إبراهيم بن هرمة

● قال رجل من أهل الشام: قدمتُ المدينة، فقصدتُ منزل إبراهيم بن هرمة، فإذا بنية له صغيرةَ تلعبُ بالطين، فقلتُ لها: ما فعل أبوك؟

قالت: وَفَدَ إلى بعض الأجواد، فما لنا به علم منذ مدة، فقلتُ انحري لنا ناقة، فإِنا أضيافك. قالت: والله ما عندنا. قلت: فشاة. قالت: والله ما عندنا. قلتُ: فدجاجة. قالت: والله ما عندنا. قلت: فبيضة. قالت: والله ما عندنا. قلتُ: فباطل ما قال أبوك:

كم ناقةٍ قد وجأتُ منحرها
بمستهلّ الشؤبوب أو جمل[1]

قالت: فذاك الفعل من أبي هو الذي أصارنا إلى أن ليس عندنا شيء[2].

يزيد بن المهلب في صغره

● روي أن المهلب بن أبي صُفرة[3] أراد أن

(١) الشؤبوب: الدفعة من المطر.
(٢) كتاب الأذكياء ص(٢٢٩).
(٣) المهلب بن أبي صفرة أحد كبار القادة في العصر الأموي.

يمتحنَ فطنةَ ولده يزيد في حال صباه، فقال له: يا بُنيّ، ما أَشدُّ البلاء؟

قال: يا أبتِ، أشدُّ البلاء معاداةُ العقلاء. ثم قال: أقلني[1].

قال المهلب: قد أقلتُك، فقُلْ.

قال يزيد: أشدُّ البلاء مسألة البخلاء، ثم قال: أقلني.

قال المهلب: قد أقلتك، فقُلْ.

قال يزيد: أشدُّ البلاء تآمر اللؤماءِ على الكرماء.

فقال المهلب: والله يا بنيّ ما يسرني بمقولك مقولُ لقمان، ولا يعدلُ عندي بقاؤك ملك سليمان، [ولقمان هذا الذي ذكره هو لقمان بن عاد، وليس هو المذكور في كتاب الله، والعرب تضربُ المثل بحكمته، وتتخيَّرُ أكثر كلامه أمثالًا][2].

المامون والأَمين في مجلس الرشيد

● روي أن الرشيد استشار يحيى بن خالد فيمن

---

(١) أقلني: يقصد تجاوز عن إجابتي السابقة لأني أريد أن أجيبك إجابة أفضل منها.

(٢) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٦٢).

يعهدُ إليه من ولديْه. وكان يحيى يعلم ميل الرشيد إلى أُم جعفر وهي زبيدة أُم محمد الأمين، وأنه لا مَعْدل له عن ولدها، فخطب يحيى في حبلها[١] وأشار عليه بالعهد إلى الأمين.

واستحضر الرشيد المأمون والأمين ـ وهما صبيان ـ فأغْرى[٢] كل واحد منهما بالآخر، فتسرَّع الأمينُ، وحَلُم المأمون، ثم أمرهما بأنْ يتصارعا فوثب الأمين ولم يتحرك المأمون.

فقال الرشيد: ما لك لا تقومُ يا عبدالله، أخفتَ ابن الهاشمية؟ أمَا إنّه لأَيّدٌ[٣].

فقال المأمون: هو أيِّدٌ كما ذكر أمير المؤمنين، ولكنني لم أخفْه، وإنما قَبَضَ يدي عنه ما قبض لساني حين نال منّي.

قال الرشيد: وما الذي قبض لسانك ويدك عنه؟

قال: قول الأموي[٤] لبنيه:

---

(١) خطب في حبلها: أي عمل على مرضاتها.
(٢) أغرى بينهم: سلط أحدهم على الآخر وأثار أحقادهم.
(٣) أيِّد: أي قوي.
(٤) الأموي: يقصد عبدالله بن مروان.

أنفوا الضغائن[1] بينكم وتواصلوا
عند الأباعد والحضور الشُّهدِ

فصلاح ذات البين طول بقائكم
ودماركم بتقاطع وتفرُّدِ

فلمِثل ريب الدهر أُلِّفَ بينكم
بتعاطف وتراحمِ وتودُّدِ

حين تلين جلودُكم وقلوبكم
لمسوَّدٍ منكم وغير مُسَوَّدِ

إنّ القداح[2] إذا جُمِعْن ورامها
بالكسر ذو حَنَقٍ وبطشٍ أيِّدِ

عزَّتْ ولم تُكْسر وإنْ هي بُدِّدتْ
فالوهن والتكسيرُ للمتَبَدِّدِ

فرقَّ الرشيد رقة شديدة، واغْرورقتْ عيناه بالدموع، ثم كفكفهما، وأقبل على الأمين فقال: يا محمد، ما أنت صانع إن صرف الله إليك أمر هذه الأمة؟

قال: أكون مهْدياً يا أمير المؤمنين.

قال الرشيد: إنْ تفعل فأنت أهلٌ لذلك.

---

(١) الضغائن: الأحقاد الدفينة.

(٢) القداح: السهام.

ثم أقبل على المأمون فقال له: ما أنت صانعٌ إنْ صرف الله إليك أمر هذه الأمة؟

فابتدرتْ دموعُ المأمون، وفطن الرشيد لما أبكاهُ، فلم يملك عينيه فأرسلهما، وبكى يحيى والأمين، فلما قضوا من البكاء أرباً[1] عاد الرشيد لمسألة المأمون.

فقال المأمون: أعفني يا أمير المؤمنين.

فقال: عزمتُ عليك لتقولنَّ.

فقال: إنْ يقدر الله ذلك جعلتُ الحزن شِعَاراً[2]، والحزم دثاراً[3]، وأتخذُ سيرة أمير المؤمنين مشعراً[4] لا تستحل حرماتُه، وكتاباً لا تبدل كلماته.

فأشار إليهما بالانصراف فذهبا[5].

المعتصم والغلام فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

● ذهب المعتصم ليعود عاملًا من عماله، وكان

(١) الأرب: الحاجة.
(٢) الشعار: ما ولي الجسم من الثياب.
(٣) الدثار: ما هو فوق الشِّعار.
(٤) مشعراً: أي عملًا مقدّساً لا تستحل حرماته.
(٥) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٤٨).

لهذا العامل ولد ذكي الفؤاد، سريع الخاطر، حاضر الجواب.

فلما رآه المعتصم قال له: داري أحسن أم دار أبيك؟ فقال الغلام: ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فهي أحسن. فسُرّ منه، ثم أراه خاتمه الذي بيده وقال له:

هل رأيتَ أحسنَ من هذا الخاتم؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين: اليد التي هو فيها.

فسُرَّ المعتصم لذكاء الغلام، وسرعة خاطره، وانتزع الخاتم من يده، وكافأه به وأنشد قائلًا:

نِعم الإله على العباد كثيرة
وأجلهنَّ نجابة الأولاد[1]

صبي نجيب

● قال الصولي، قال الجاحظ، قال ثمامة: دخلت إلى صديق لي أعوده وتركتُ حماري على الباب، ولم يكن معي غلام، ثم خرجتُ، وإذا فوقه صبي، فقلتُ:

(١) المفرد العلم ص(٧٠).

أتركبُ حماري بغير إذني؟ قال: خفتُ أن يذهب فحفظته لك. قلت: لو ذهب كان أحب إليّ من بقائه.

قال: فإن كان هذا رأيك في الحمار، فاعملْ على أنه قد ذهب وهبْهُ لي، واربح شكري، فلم أر ما أقول[1].

المامون بن هارون الرشيد في صغره

● روي أنّ هارون الرشيد رحمه الله اطَّلع يوماً من عِلّيةٍ فرأى ولده عبدالله المأمون وهو غلام يكتب على حائط، فقال لخادم بين يديْه: انطلق فانظر ما يكتب عبدُالله، واحترسْ أنْ يفطن لك أنك ترى ما يكتب. فتسلل عليه حتى قام من خلفه وهو مقبلٌ على الحائط، وعاد إلى الرشيد فأخبره أنه يكتب:

قــلْ لابــن حــمــزة مــا تــرى
فــي زِنْــريــاجِ مــحــكــمــة

فقال له الرشيد: اذهبْ فقلْ له: في أيِّ شيءٍ تفكر؟ فسيقول لك: في إجازة[2] هذا البيت، فقل له:

(١) كتاب الأذكياء ص(٢٢٩).

(٢) إجازة البيت: أي إضافة بيت إليه يرتبط به ويتم معناه.

قال ابنُ حمزة[1] يا بُنيَّ
هزِئْتَ مُجترِئاً فَمَهْ[2].

ففعل الخادم، فأطرق عبدالله، وولّىٰ، ثم التفتَ فقال للخادم، قد عرفتُ أنك رسول، ولولا هذا لم تنجُ مني، فعاد الخادم إلى الرشيد فأخبره فقال له: قد نجوتَ يا غلام.

ثم إنّ الرشيد أخبر الكسائي بذلك وقال له: من أين علم أنّ الخادم رسول؟

قال: علمه من قوله: فَمَهْ؛ إذْ كان الخادم لا يقدرُ على مخاطبته بذلك إلا مأموراً[3].

● ورُوي أن الكسائي قال: بكَرْتُ يوماً إلى المكتب من دار الرشيد، وأرسلتُ إلى عبدالله المأمون أشعره بحضوري، فتشاغلَ باللعب وأبْطأ، فلما جاء ضربتُه، وبينما هو يبكي استأذن عليه جعفر بن يحيى فاستوى على مَضْربته وجمع عليه ثيابه ومسح عينيه، ثم قال للحاجب: يؤذنُ له.

---

(١) ابن حمزة: هو الكسائي، واسمه علي وكان مؤدب المأمون.
(٢) قوله: فمه: أي اكفُفْ، ومَهْ: كلمة معناها أمر بالكف.
(٣) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٤٢).

فلما دخل خشيتُ أنْ يشكوني إلى جعفر فيسيءَ إليَّ، فلما دخل رحَّبَ به، وقرَّبه، وتبسَّم إليه وحادثه، ثم نهض فأمر بدابته فقُدِّمتْ إليه، فأمر المأمونُ غلمانه بالسّعْي بين يدْيه.

قال الكسائي: فلما خرج جعفر قلتُ للمأمون:

لقد كنتُ مشفقاً أيُّها الأميرُ أن تشكوني إلى جعفر!! فقال: أين يُذْهبُ بك عافاك الله، أنا أُرِي جعفراً أَنّىٰ أُحْوِجُ نفسي إلى الأدب، والله ما يطمعُ الرشيد منّي في هذا، خُذْ في أمْرِك عافاك الله[1].

● وروي أنّ الرشيد رحمه الله أمر جماعةً من أهْل العلم بأن يسْمُروا ويبيتوا عند المأمون ـ وهو غلام ـ فبات عنده الحسنُ بن الحسنِ اللؤْلُؤي. وبينما هو يحادثه غلب المأمونُ عيناه فنعِسَ، فقال الحَسنُ: نمتَ أيُّها الأمير.

فاستيقظ المأمون وقال: سُوقِيٌّ وربِّ الكعبة، ثم قال: يا غلام خذْ بيده فأخرجهُ وبلغ ذلك الرشيد فأعجبَهُ وأنشد متمثلًا بقول زهير:

---

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٤٤).

وهل يُنبتُ الخَطِّيَّ إلا وشيجُهُ

وتُغْرسُ إلَّا في منابتها النَّخلُ[1]

وإنما فعل ذلك لسوءِ أدب اللؤلؤي، ووجْه الأدب مع الرئيس إذا نام أن يتنحَّىٰ عنه جلساؤه إلى موضع يقرُبُ منه[2].

● وروي أن المأمون كان يقرأ القرآن وهو صغير على أستاذه الكسائي، وكان من عادة الكسائي أن يُطْرق إذا قرأ المأمون، فإذا أخطأ رفع رأسه ناظراً إليه فيرجع إلى الصواب.

فقرأ يوماً سورة الصف، ولما وصل إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ فرفع الكسائي رأسه، فنظر المأمون إليه وكرر الآية وهو يفتش عن خطئه، فوجدها صحيحة فمضى في قراءته.

ولما انصرف الكسائي دخل المأمون على أبيه قائلًا: هل وعدت الكسائي بشيءٍ؟

---

(١) الخطي: هو الرمح المنسوب إلى الخط وهو مرفأ للسفن بالبحرين حيث تباع الرماح. والوشيج: هو شجر الرماح والبيت لزهير ابن أبي سلمة.

(٢) المرجع السابق ص(١٤٥).

قال: كيف علمتَ بذلك يا بني؟

فأخبره بالأمر، فسُرَّ الرشيد لفطنة ابنه وشدة ذكائه[1].

۞ المامون والحسن بن رجاء

● دخل المأمون في بعض الدواوين، فرأى غلاماً جميلًا على أُذنه قلم، فقال: من أنت؟

قال: أنا يا أمير المؤمنين الناشىء في دولتك، المتقلِّب في نعمتك، المؤمل لخدمتك، خادمك وابن خادمك الحسن بن رجاء.

فقال المأمون: أحسنتَ يا غلام.. وبالإحسان في البديهة تتفاضل العقول.

وأمر برفع مرتبته وزيادة عطائه[2].

۞ نجابة غلام عربي

● حكى الأصمعي رحمه الله قال: قلتُ لغلام حدث (حديث السن) من أولاد العرب كان يحادثني،

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(١٠٨).

(٢) المفرد العلم ص(٥١).

فأمتعني بفصاحة وملاحة: أَيَسُرّك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق؟

قال: لا والله. قال: فقلتُ: ولِمَ؟

قال: أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تذهب بمالي، ويبقى عليّ حمقي[1].

فصاحة غلام

● قال الأصمعي:

بينا أنا في بعض البوادي إذا أنا بصبيّ ـ أو قال صبية ـ معه قربة قد غلبته فيها ماء، وهو ينادي: يا أبتِ، أدركْ فاها، غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها.

قال: فوالله لقد جمع العربية في ثلاث[2].

ابن الأدب

● ومما تناقلته كتب الأدب أنّ صبيّاً تكلم بين يدي الخليفة المأمون فأحسن الجواب.

(١) دليل السائلين ص(٤٣٧) وكتاب الأذكياء ص(٢٣١).

(٢) كتاب الأذكياء ص(٢٢٩).

فقال له المأمون: ابن مَنْ أنت؟

فقال الصبي: ابن الأدب يا أمير المؤمنين!!

فقال المأمون: نعم النسب، وأنشد:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً
يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول هاأنذا
ليس الفتى من يقول كان أبي(١)

فصاحة فتى

● سأل هشام بن عمرو، فتى أعرابياً عن عمره فبادره هشام بالسؤال:

هشام: كم تعد يا فتى؟

الفتى: أعد من واحد إلى ألف وأكثر.

هشام: لم أردْ هذا، بل أردتُ كم تعدُّ من السن؟

الفتى: اثنين وثلاثين سناً في فمي ستة عشر من فوق ومثلها من تحت.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (٣٠٦/١).

هشام: لم أُردْ هذا. . كم لك من السنين؟

الفتى: قدرها الله سبحانه.

هشام: قصدي أن أسألك ما سنُّك؟

الفتى: سني من عظم.

هشام: يا بني إنما أقصد ابن كم أنت؟

الفتى: طبعاً ابن اثنين أب وأُم.

هشام: يا الله، أُريد أن أسألك ما عمرك؟

الفتى: الأعمار بيد الله لا يعلمها إلا هو.

هشام: ويحك يا فتى، لقد حيَّرتني، ماذا أقول؟

الفتى: قل كم مضى من عمرك[1]؟

عبيدالله بن المامون في صغره

● روي أنّ عبيدالله بن المأمون قال: غضب المأمون على أمي أُم موسى، فقصدني لذلك، حتى كاد يتلفني، فقلتُ له يوماً: يا أمير المؤمنين، إنْ كنت غضبان على ابنة عمك، فعاقبها بغيري، فإني منك قبلها، ولك دونها.

---

(١) مجلة الدوحة (١٤١/١١٧).

قال: صدقت والله يا عبيدالله، إنك مني قبلها ولي دونها، والحمد لله الذي أظهر لي هذا منك وبيَّن لي هذا الفضل فيك، لا ترى والله بعد يومك هذا مني سوءاً، ولا ترى إلا ما تحب، فكان ذلك سبب رضاه عن أمي[1].

المغيرة بن شعبة والغلام

● قال المدائني: قال المغيرة بن شعبة:

ما خدعني أحدٌ قطُّ غير غلام من بني الحارث بن كعب، فإني ذكرتُ امرأة منهم، فقال: أيها الأمير، لا خير لك فيها، إني رأيتُ رجلًا قد خلا بها يقبلها.

ثم بلغني بعدُ أنه تزوجها، فأرسلتُ إليه، فقلتُ: ألم تعلمني أنك رأيتَ رجلًا يقبلها؟ فقال: بلى! رأيتُ أباها يقبلها[2].

عبدالله بن المعتز في صغره

● كتب بين يديْ مؤدبه سطراً معوجاً فضربَهُ ضربةً

(١) كتاب الأذكياء ص(٢٢٩).
(٢) عيون الأخبار (٢/٢٠٠).

أوجعتْه فجعل يتلوى لها ثم قال: أصلحك الله، ينبغي أن تقف في صغار الذنوب عند الارتياع، وتتجاوز في كبارها الإيقاع.

ومن شعره في صباه:

اصبرْ على مضض العدو
فإنَّ صبرك قاتلُهْ
فالنار تأكل بعضَها
إنْ لم تجدْ ما تأكله[1]

● وسأله بعضُ زوّار مؤدّبه عن مسألة غامضة، وكأنّه قصد بها المؤدب، فلم يعلمْ جوابها.

فقال المؤدبُ للسائل: أفِدْهُ إياها، فضنَّ بالجواب، وفهم أنّ المؤدب لا يُحْسِنُه، فلما رأى ذلك عبدالله أنشأ يقول:

لا تمنَعَنّ العلم طالبه
فسواك أيضاً عنده خُبْرُ
كم من رياضٍ لا أنيسَ بها
هُجرتْ لأنّ سبيلها وَعْرُ[2]

---

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٥٥).

(٢) المرجع السابق ص(١٥٦).

۞ الراضي محمد بن جعفر في صغره

● حكي عن الحسن العروضي مؤدب الراضي محمد بن جعفر المقتدر[1] بالله أنه قال:

أنّ الراضي كتب إلى أبيه المقتدر رُقعةً فقرمط[2] فيها خطَّهُ، وكان إذا مَشَقَ[3] في خطه ومطَّطَ حروفه أجاد، فقلتُ له:

كأنك قصدتَ ما أَرَى؟

قال: نعم.

فقلتُ: ولِمَ؟

قال: إنّ مطَّ الحروف نوع من الجرأة، والقلم نائب اللسان، فهلْ يصلح لي أنْ أَمُطَّ لساني في خطابٍ إلى والدي.

---

(١) الراضي محمد بن جعفر المقتدر بالله وهو الخليفة العشرون من خلفاء بني العباس تولى الخلافة فيما بين ٣٢٢ ـ ٣٢٩هـ وكان أديباً شاعراً سمحاً سخياً.

(٢) قرمط: قصر حروف خطه.

(٣) مشق في خطه: أسرع.

قال العروضي: فجعلتُ أَنظرُ إليه نظرَ متعجِّب.

فقال: ما لك يا أستاذُ؟

قلت: أَنَّىٰ لك هذا؟

قال: يا أستاذُ، إنّ آدابنا مولودةٌ معنا.

قلتُ: أشهدُ أَنّكَ صادق(١).

● قال الحسن القزويني سمعت أبا بكر النحوي يقول: من ألطف رقعة كتبت في الاعتذار رقعة كتبها الراضي إلى أخيه أبي إسحاق المتقى(٢)، وقد كان جرى بينهما كلام بحضرة المؤدب، وكان قد تعدى على الراضي، فكتب إليه الراضي:

بسم الله الرحمن الرحيم.

أنا معترف لك بالعبودية فرضاً وأنت معترف إليّ بالأُخوة فضلًا، والعبد يذنب والمولى يعفو وقد قال الشاعر:

يا ذا الذي يغضبُ من غير شيءٍ
أعتِبْ فَعُتباك حبيبٌ إليَّ

---

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٦١).

(٢) المتقي بالله هو الخليفة العباسي الحادي والعشرون حكم من (٣٢٩ ـ ٣٣٣هـ) وقد تولى الخلافة بعد أخيه الراضي.

أنــتَ عــلــى أنّــك لــي ظــالــمٌ
أعــزُّ خــلْقِ الله طُــرّاً عــلــيّ

قال: فجاءه أبو إسحاق، فأكب عليه، فقام إليه الراضي، فتعانقا، واصطلحا والله أعلم[1].

الفضل وجعفر ولدا يحيى بن خالد ابن برمك في صغرهما

● روي أن محمد بن عبدالرحمن الهاشمي قال:

كانت عتابةُ أم جعفر بن يحيى تزور أُمي، وكانت لبيبةً من النساء، حازمةً، بَرْزة فصيحةً، يعجبني أن أجدها عند أمي لأستكثر من حديثها.

فقلتُ لها يوماً: يا أُمَّ جعفر، إنّ بعض الناس يفضلون جعفراً على الفضل، وبعضهم يفضل الفضل على جعفر، فأخبريني: الفضل كان أفضل أمْ جعفر؟

فقالت: ما زلنا نعرف الفضل للفضل.

فقلتُ: إنّ أكثر الناس يفضلون جعفراً.

فقالت: ها أنا أُخبرك عنهما، واقضِ أنتَ.

(١) من كتاب الأذكياء لابن الجوزي ص(٢٢٨).

فقلتُ: هاتِ.

فقالت: كان الفضل وجعفر يلعبان في داري، فدخل أبوهما، فدعا بالغداء، وأحضرهما فطعما معه، ثم أقبل عليهما، وآنسهُما بحديثه، فقال لهما:

أتلعبان بالشطرنج؟

فقال جعفر ـ وكان أجرأهما ـ نعم.

قال: فهل لاعبتَ أخاك بها؟

قال جعفر: لا.

قال: فإذا فرغتما من غدائكما فالعبا بها بين يديَّ حتى أرى لمن الغَلَبُ منكما.

قال جعفر: نعم.

قالت: وكان الفضلُ أبصرَ منه بها. فلما رُفعَ الطعام جيءَ بالشطرنج، فصُفَّتْ بينهما، وأقبل عليها جعفرُ، وأعرضَ عنها الفضلُ.

فقال له أبوه: ما لك لا تُلاعبُ أخاك؟

فقال: لا أُحبُّ ذلك.

فقال جعفر: إنه يرى أنه ألعبُ بها مني فيأْنفُ من ملاعبتي، وأنا ألاعبه مخاطرةً.

فقال الفضل: لا أفعلُ.

فقال أبوه: لاعبْه وأنا معك.

فقال جعفر: رضيتُ، وقال الفضل: لا، واستعفى أباه فأعفاه.

قال محمد بن عبدالرحمن: ثم قالت لي (يعني أم جعفر) قد حدثتك عنهما، فاقضِ.

فقلتُ: قد قضيتُ لجعفر.

فقالت: لو علمتُ أنك لا تُحسِنُ القضاء ما حكّمتُك.

فقلتُ: وما الذي أَنكرتِ عليَّ من قضائي؟

فقالت: ألا ترى أنّ جعفراً قد سقط فيما حكيتُ لك عنه أربع سقطاتٍ تنزَّه الفضل عنهن.

فقلت: في ماذا سقط؟

قالت: سقط أولًا حين قال: إنه يلعبُ بالشطرنج، فاعترف على نفسه عند أبيه بالهزل، وكان أبوه صاحب جد. فقلتُ: هذه واحدة. فقالت: وسقط في التزام ملاعبة أخيه، وإظهار الشهوة لغلبه، والتعرض لغضبه.

فقلتُ: وهذه ثانية.

فقالت: وسقط في قوله: ألاعبُه مخاطرة، فأخبر عن نفسه بالمقامرة، وأظهر الحرص على انتزاع مال أخيه.

فقلت: وهذه ثالثة.

فقالت: وسقط العُظمى، وهي قاصمةُ الظَّهْر حين قال أبوه: لاعبْه، وأنا معك، فقال أخوه: لا أُوافق، وقال هو: نعم، فناصب أباه وأخاه، وغالبهما.

فقلتُ: أحسنتِ والله، وإنك لأقضى من الشَّعْبي، ثم قلتُ لها: عزمتُ عليك يا أُماه: هل خفي مثل هذا على جعفر، وقد فطن له أخوه؟

فقالت: لولا العَزْمةُ لما أخبرتُك. إنَّ أباهما لما خرج، خلوْتُ بالفضل فقلتُ له: ما منعك من إدخال السرور على أبيك بملاعبة أخيك؟

فقال: منعني منه وجهان، أحدهما: لو أني لاعبتُه لغلبتُهُ، ولو غلبتُهُ أخجلتُهُ، والثاني: قولُ أبي: لاعبْه وأنا معك، وما يعجبني أن يكون أبي معي على أخي.

قالت: ثم خلوتُ بجعفر فقلتُ له: يا بُنيّ، يقولُ أبوك: تلعبُ بالشطرنج فتقول: نعم، وقد سكتَ أخوك فتسِمُ نفسك بالهزل عند أبيك وهو صاحبُ جدٍّ.

فقال: إني سمعتُ أبي يقولُ في الشطرنج: إنها

لنِغْمَ لهْوُ البال المكدود، وإنه يعلم ما نلقاه من كدِّ التعلّم والتأدُّبِ، فظننتُ أنه لا يعيبُ ذلك علينا، ثم إني لم آمَنْ أن يكون نُمِيَ إليه أننا نلعبُ بها، فبادرتُ بالإقرار إشفاقاً على نفسي وعلى أخي، وقلتُ: إنْ كان من أبي نكير لقيتُهُ دون أخي. فقلتُ له يا بَنيَّ علامَ قلتَ: ألاعبُهُ مخاطرة؟ كأنك تُقامر أخاك وتستكثر ماله؟

قال: كلا، ولكنّه استحسن الدَّواة التي وهبها لي أميرُ المؤمنين؛ فعرضتها عليه فأبى قبولها، وطمَعْتُ أن يلاعبني فأخاطرَهُ عليها، وهو يغلبُني، فتطيبُ نفسه بأخذها.

(قال محمد) فقلت لها: يا أُمَّاه، ما كانت هذه الدواة؟

فقالت: إن جعفراً دخل على أمير المؤمنين المهدي فرأى بين يديه دواةً كانت من العقيق الأحمر محلاةً بالياقوت فرآه ينظرُ إليها فوهبها له.

(قال محمد) فقلتُ: إيهِ، فماذا قلتِ؟

فقالت: قلتُ لجعفر: هبْكَ اعتذرتَ بما سمعْتَ، فما عذرُك من الرضا بمناصبة أبيك حين قال: لاعبْه وأنا معك، فقلتَ أنت: نعم، وقال هو: لا؟

فقال: عرفتُ أنه غالبي، ولو فتر لعبُه لتغالبتُ له،

مع ماله في ذلك من الشرف والسرور بتحيُّز أبيه إليه.

قال محمد بن عبدالرحمن: بخٍ، بخٍ. هذه والله هي اللَّبابة والسيادة، ثم قلتُ[1]: بالله يا أُمَّاهَ أكان منهما من بلغ الحُلُم؟

فقالت: يا بُنيَّ، أين يُذْهَبُ بكَ؟

أخبرك عن صبيين يلعبان فتقول أكان منهما مَن بلغ الحُلُم!! لقد كنا ننْهىٰ الصبيَّ إذا بلغ العشرَ أن يبتسِمَ بحضْرة من يستَحِي مِنْه[2].

الحسن وسليمان ولدا وهب ابن سعيد في صغرهما

● روي أن الفضل بن سهل أرسل وهب بن سعيد إلى فارس محاسباً لعمالها، فبلغه أنه خان، وحابى العمال، وقبل الرشوة، فعزله وسخط عليه، وبعث به إلى أخيه الحسن بن سهل لينظر في أمره.

وأحسَّ وهب بن سعيد بالشر فأوصى إلى رجل من أهل واسط كان ثقة مأموناً موسراً يحترف بصناعة

(١) المتكلم: محمد بن عبدالرحمن الهاشمي وهو الراوي.

(٢) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٧٢).

الجزارة، ويتجر في الجلود، فأعطاه مالًا عظيماً، وأسلم إليه ولديْه: الحسن وسليمان، وهما صغيران، ثم توجَّه إلى بغداد، فهلك في طريقه غرقاً.

وبلغ ذلك الوصي فأخبر به الصبيين، وقال لهما: اختارا حرفة تميلان إليها، وإن أحببتما الجزارة وبيع الجلود بصَّرْتكما بذلك، ولكما عندي مالٌ سأشتري لكما به ضياعاً تستظهران بها على أحداث الزمان.

فقالا: ما لنا ولحرف العوام وصناعتهم!! وإنما حرفة أمثالنا خرز[1] أعناق الرجال في القراطيس، فتهيبهما الوصي، ورأى بزّاً[2] ليس من سوقه، وضم إليهما من يؤدبهما، ويصلح من شأنهما.

فلما اشتدا قالا لوصيهما: إنّ واسط لا تفي بما نرومُه من العلم، ونؤمِّلُه من الرياسة.

فقال لهما: ما مثلكما يُولّى عليه، فأمراني بأمركما أُطِعْهُ.

فقالا: جهِّزنا إلى معترض العلماء، ومستقر الخلفاء.

---

(١) خرز الجلد ونحوه: خاطه، والمقصود: السيطرة على أعناق الرجال.

(٢) البز: الثوب، يقصد نوعاً جديداً من الصبيان غير من يعرفهم.

فجهزهما إلى بغداد، ودفع إليهما من المال ما أراداه، وقال الوصي: إنه دفع إليهما مالهما كله.

ولما صارا إلى بغداد نالا ما أَمَّلاهُ من العلم والرياسة وكتبا معاً في دار المأمون وهما غلامان[1]. (بتصرف)

● وذُكر أن المأمون رأى أحدهما يمشي في دار الخلافة، فقال: من أنت يا غلام؟

فقال: الناشيءُ في دولة أمير المؤمنين، المغْتذي بنعمته، المكرّمُ بخدمته، سليمان بنُ وهب.

فقال المأمون: أحسنت يا غلام[2].

● وحُكي أن المأمون دعاه يوماً فأمره أن يكتب بين يديْه كتاباً، لم يكن قد بلغ قدرُه أن يكلِّفه كتابة مثله، فكتبه، وحرَّره على ما أراد المأمون من جودة الضَّبْط، وحسن الخط، وسهولة اللفظ، فسُّر به المأمون سروراً ظهر عليه[3].

ولم تزل أمورهما تُنمَى حتى نالا الوزارة.

---

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٧٨).
(٢) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(١٧٩).
(٣) المرجع السابق ص(١٨٠).

● لما تولى الحجاج شؤون العراق، أمر مرءوسه أن يطوف بالليل، فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه، فطاف ليلةً فوجد ثلاثة صبيان فأحاط بهم وسألهم: من أنتم، حتى خالفتم أوامر الحجاج؟

فقال الأول:

أنا ابن الذي دانت الرقاب له
ما بين مخزومها وهاشمها[1]
تأتي إليه الرقاب صاغرة
يأخذ من مالها ومن دمها

فأمسك عن قتله، وقال لعله من أقارب الأمير.

وقال الثاني:

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره
وإن نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره
فمنهم قيام حولها وقعود

(١) مخزومها: أي بني مخزوم من قريش زعيمهم المغيرة ابن عبدالله، جدّ خالد بن الوليد.

فتأخر عن قتله وقال: لعله من أشراف العرب.

وقال الثالث:

أنا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه
وقوَّمها بالسيف حتى استقامت
ركاباه لا تنفك رجلاه عنهما
إذا الخيل في يوم الكريهة ولّت

فترك قتله وقال: لعله من شجعان العرب.

فلما أصبح رفع أمرهم إلى الحجاج، فأحضرهم وكشف عن حالهم، فإذا الأول ابن حجام، والثاني ابن فوال، والثالث ابن حائك.

فتعجب الحجاج من فصاحتهم، وقال لجلسائه: علّموا أولادكم الأدب، فلولا فصاحتهم لضربتُ أعناقهم، ثم أطلقهم وأنشد:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً
يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول هاأنذا
ليس الفتى من يقول كان أبي[1]

---

(١) المفرد العلم ص(١٣٥).

إجابة ذكية

● سأل حكيم غلاماً معه سراج: من أين تجيءُ النار بعدما تنطفىء؟ فقال الغلام: إنْ أخبرتني إلى أين تذهب بعد انطفائها أخبرتك من أين تجيء[١].

الولد الذكي

● أراد أحد العلماء أن يختبر إيمان ولد صغير مشهور بين الناس بالذكاء. فقال له: من الذي قبل الله؟

فأجابه الولد: من فضلك يا مولانا عدَّ لي من الواحد إلى العشرة لأجيبك. فلما بدأ في العد، قال العالم واحد ـ فقال الولد سريعاً ـ ماذا قبل الواحد؟ فقال العالم مجيباً: لا شيءَ.

فأجابه الولد الذكي: الله هو الأول الذي لا قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء.

فسُرّ العالم من ذكاء ذلك الولد[٢].

---

(١) مجلة الفيصل (١٣٥/٢٢٩).

(٢) مجلة باسم (٣٦/٣٩٠).

ابن يعظ أباه

● قال الابن لأبيه عندما وقف يرقبه وهو منكب على عمله طوال ساعات النهار والليل: (أبي غداً.. سوف تشرق الشمس ويبدأ يوم جديد.. أرجوك أن تصحبني في نزهة بين الحدائق).

فقال الأب: (ولكني مشغول بعملي كما تعلم).

وقال الابن الذي لم يتجاوز عامه السابع:

(ولكن ألا تشعر أنك أعطيت عملك أكثر مما يجب، أنا لا أريد أن آخذك منه، ولكنني فقط أريدك أن تخرج إلى الدنيا لتأخذ منها أنت شيئاً.. أي شيء.. هل تعلم أنها قريبة جداً منك ولكنك لا تشعر بوجودها)[١].

البحتري والصبي الشاعر

● يُروى أن البحتري مرّ بجماعة من الناس، فرأى بينهم صبيّاً تبدو عليه مخايل الذكاء، فقال له مداعباً:

أشاعر أنت؟

فقال الصبي: نعم! وإنني لأشعر منك!

(١) مجلة العربي (٢٠٥/٣١٤).

فقال البحتري: هل تستطيع أن تجيز قولي:

لـيـتَ مـا بـيـن مَـنْ أُحِـبُّ وبـيـنـي

قال الصبي: أتريد أن تقربه أم تبعده؟

قال البحتري: أقربه.

فقال الصبي:

لـيـت مـا بـيـن مَـن أُحـب وبـيـنـي

مـثـل مـا بـيـن حـاجـبـيَّ وعـيْـنـي

فطرب البحتري وقال: وإذا أردتُ أن أُبعده، فماذا تقول؟

قال الصبي:

ليت ما بين مَن أُحبُّ وبيني

مثل ما بين مُلْتقى الخافقين[1]!!

لقمان الحكيم وهو صبي

● كان لقمان الحكيم وهو صبي يعمل لدى أحد

(١) مجلة الفيصل (١٢٧/٢٥٢).

التجار، فأمره سيده يوماً أن يذبح شاةً وأن يأتي بأطيب ما فيها فأتاه بالقلب واللسان، وبعد عدة أيام أمره بأن يذبح شاة أخرى وأن يستخرج أخبث ما فيها، فأتاه بالقلب واللسان.

فلما سئل عن هذا قال لقمان:

(هما أطيب ما فيها إذا طابا، وأخبث ما فيها إذا خَبُثا)[1].

التاجر وابنه الصادق الأمين (الدين المعاملة)

● أرسل تاجر ابنه إلى بعض عملائه بصرة فيها مبلغ كان متأخراً له عليه من ثمن بعض البضائع. وفيما هو سائر بها وقعت منه على شاطىء نهر، ولم يشعر بفقدها إلا قرب وصوله إلى محل قصده، فآب عوداً على بدء يبحث عنها فجلس تحت شجرة نائحاً قائلًا:

ربِّ إني ضئيل سيىء الحظ، لا عاضد لي سِواك، فأرشدني إلى ضالتي كي أشكر فضلك، وبَوِّئني مبوأ صدق، إنك المبدىء المعيد.

يا من يرجى في الشدائد كلها

يا من إليه المشتكى والمفزع

(١) مجلة المجتمع (٩٦٦/٦٥).

ما لي سوى قرعي لبابك حيلة
فلئن رددتَ فأي بابٍ أقرع؟

فاتفق وقتئذ أن مر أمير من الأمراء، فسمع بكاءه، فدنا منه وسأله عن سبب بكائه! فقصّ عليه قصته، فأخرج الأمير من جيبه صرة حسنة فيها لآلىء ذهبية، وقال له: أهذه؟

فنظر إليها الولد وقال: نعم هي بعينها.

فأعطاها الأمير إياها، وأضاف إليها الأولى بما فيها جزاء صدقه، وأنشد قول القائل:

أجل للمرء من مجد الغنى شرفاً
مجد الوفاء وتقوى الله والكرم
وأرفع الناس عند الله منزلة
من لم يكن لحقوق الناس يهتضم[1]

أبو العلاء المعري وغلام عربي
(ليس في الإمكان أبدع مما كان)

● لقي غلام من العرب أبا العلاء المعري الشاعر

(١) المفرد العلم ص(١٣١).

المشهور، فقال له: مَن أنت يا شيخ؟

قال: أنا أبو العلاء المعري شاعركم المعروف.

فقال الغلام: أهلًا بالشاعر الفحل. أأَنت القائل في شعرك:

وإني وإن كنتُ الأخير زمانه
لآتٍ بما لم تستطعْهُ الأوائل

قال أبو العلاء: أنا الذي قلت هذا، ولماذا؟

فقال الغلام: قول طيب وثقة بالنفس، وأعلام الكفاءة والقدرة، ولكن الأوائل قد وضعوا ثمانية وعشرين حرفاً للهجاء، فهل لك أن تزيد عليها حرفاً واحداً؟

فسكت أبو العلاء، وقال: والله ما عهدتُ لي سكوتاً كهذا السكوت[1].

جعفر الصادق والغلام

● حكي عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنّ غلاماً وقف يصبُّ الماء على يديه، فوقع الإبريق من يد الغلام في الطست، فطار الرشاش في وجهه، فنظر جعفر إليه

(١) المفرد العلم ص(٧٨).

نظر مغضب، فقال يا مولاي:

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ قال قد كظمت غيظي. قال: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ قال قد عفوت عنك. قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾. قال: اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى[1].

المطلب غلام أبي لهب

● قال أبو إسحاق الجهمي: لما صرف الحجاج قال لغلام له: تعالى نتنكر وننظر ما لنا عند الناس، فتنكرا وخرجا، فمرا على المطلب غلام أبي لهب، فقالا: يا هذا، أي شيء على الحجاج؟

قال: على الحجاج لعنة الله.

قالا: فمتى يخرج؟

قال: أخرج الله روحه من بين جنبيه، ما يدريني.

قال: أتعرفني؟

قال: لا.

قال: أنا الحجاج بن يوسف.

---

(١) المستطرف (٢٧٩/١).

قال المطلب: أتعرفني أنت؟

قال: لا.

قال: أنا المطلب غلام أبي لهب، معروف أصرع في كل شهر ثلاثة أيام أولها اليوم.

فتركه ومضى[1].

أصوم الاثنين والخميس

● استأجر رجل غلاماً ليخدمه، فقال له: كم أجرتك؟

قال: شبع بطني.

فقال له: سامحني.

فقال: أصوم الاثنين والخميس[2].

الطعام حار

● قعد صبيٌ مع قوم يأكلون، فبكى، قالوا: ما لك تبكي؟ قال: الطعام حار، قالوا: فدعْه حتى يبرد. قال:

---

(١) كتاب الأذكياء ص(١٣٧).

(٢) المرجع السابق ص(١٥٥).

أنتم لا تدعونه[(١)].

۞ إلى بيت ربي

● قال عبدالرحمن بن محمد صاحب كتاب (صفة الأولياء) حدثني محمد بن إبراهيم النيسابوري بإسناده أن فتحاً الموصلي رحمه الله قال:

خرجت أريد الحج، فلما توسَّطتُ البادية إذا غلام صغيرٌ لم تجر عليه الأحكام، فقلتُ له: إلى أين؟ فقال: إلى بيت ربي، قلتُ: إنك صغير لم تجرِ عليك الأحكام، فقال: لقد رأيتُ أصغر مني مات، فقلتُ: إنّ خطوك قصير، قال: عليّ الخطْوُ، وعليه التبليغ إن شاء، ألم تسمعْ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[(٢)]؟ قلت: لا أرى معك زاداً، قال: زادي في قلبي اليقينُ، حيثما كنتُ أيقنتُ أنّ الله يرزقني، قلتُ: إنما أردتُ أنك تتزودُ الخبزَ والماءَ، قال: ما اسمك؟ قلت: فتحٌ، قال: يا فتحُ، أسألُك، قلتُ: سلْ، قال: أرأيتَ لو أنَّ أخاً لك من أهل الدنيا دعاك إلى منزله، أما كنتَ تستحي أن تحمل معك طعاماً لتأكله في منزله؟

---

(١) المرجع السابق ص(٢٣١).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

قلتُ: بلى، قال: فإنّ مولايِ دعاني إلى بيته فهو يطعمني ويسقيني، قال فتح: فجعلتُ أعجبُ من أمره، وبيانه، وزهده، مع صغر سنه[1].

ملك وغلام عربي (لا تفْدَحنَّ امرأً حتى تجربه)

● مرّ أحدُ الملوك بغلامٍ عربيّ يسوقُ حيواناً بعنفٍ وشدَّة، والحيوان بطيء الحركةً قليل الهمة.

فقال الملك: يا غلام، ارفق بهذا الحيوان، فقال الغلام:

يا أيها الملك، في الرفق به مضرة له، قال الملك: وكيف ذلك وإني لا أرى مضرة غير الذي هو فيه الآن؟

قال الغلام: ذلك أنه إذا أبطأ يطول طريقه، ويشتد جوعه، ففي العنف به إحسان إليه. فقال الملك: وما الإحسان إليه؟ قال الغلام: يخف حمله، ويطول أكله.

فأُعجِبَ الملك بجوابه، وكافأه، فقال: هو رزق مقدور، وواهب مأجور.

قال الملك: لقد أمرتُ بإثبات اسمك في بطانتي. قال الغلام: كفيتُ مؤونة، ورزقتُ بها معونة.

---

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(٢٠٥).

قال الملك: ولولا حداثة سنِّك لاستوزرتُك.

قال الغلام: لن يعدم الفضل من رزق العقل.

قال له الملك: وهل تصلح لذلك يا غلام؟

قال الغلام: إنما يكون المدح والذم بعد التجربة، ولا يعرفُ الإنسان نفسه حتى يبلوها[1].

ابنة المعافى بن عمران

● قال بشر بن الحرث: أتيتُ باب المعافى بن عمران، فدققتُ الباب، فقيل لي: مَن؟ قلتُ: بشر الحافي. قالت لي بنية من داخل الدار: لو اشتريتَ نعلًا بدانقين[2] ذهب عنك اسم الحافي[3].

عمرو بن أُحَيْحَة بن الجُلاح الأوسي في صغره

● روي أن أبا عمرو أُحَيْحَة بن الجُلاح الأوسي نكح سلمى بنت عمرو بن يزيد بن لبيد العدويّة، وكانت

(١) المفرد العلم ص(٩٠).
(٢) الدانق: وحدة عملة: سدس الدرهم (فارسة).
(٣) كتاب الأذكياء ص(٢٣٠).

قبله تحت هاشم بن عبدمناف، فولدت لهاشم عبدالمطلب بن هاشم[1] وهلك عنها، فلما خلف عليها أحيحة بن الجُلاح، ولدت له عمرو بن أُحيحة، فنشأ أريباً، مهيباً، حليماً، جواداً.

وكان لداتُه[2] من قومه لعجزهم عن شأوه يحسدونه، ويغضون منه، ويقصِّرون به، ويسمعونه المكروهَ فلا يزيده ذلك إلّا إعفاءً.

وأراد حلماءُ قومه امتحانَه في حداثة سنه، فقال له قائل منهم: علام تُقِرُّ على ما تسمعُ من الأذى وأبوك أعزُّ مَن بين لابتي يثرب[3]؟

فقال: لو أَني أهتبل[4] لكلِ شرارة أذىً تبلُغُني لحَسَرَتْ دون ذلك، ولم أبلغ ما أُريدُ، ويشغلُني ذلك عن أكثر أمري، ونال من يبلِّغني ذلك ما طلب؟

والصبر على ما أكره أخفُّ عليَّ من التسميع به.

وإذا تكلم المتكلم في الأمر ثم نزع عنه قبل أنْ

(١) عبدالمطلب بن هاشم هو جد النبي ﷺ.

(٢) لداته: نظراؤه من أبناء الأوس.

(٣) اللابة: أرض ذات حجارة سود، وكانت يثرب تقع بين لابتين.

(٤) اهتبل: أغتنم.

يبلغ أقصى ما يريد منه عَجَزةُ ذوو البصائر والفضل.

ومن عارض الناس في كل ما يسمعه منهم اشتدَّ ذلك مَن فعله عليهم، ونقبوا عنه فانكشف عندهم من أمره ما لا يحبُّ كشفه.

ومن خاصم من ليس له خطر صغُر قدرُه وهان على مَن كان يكرمُه، واجترأ عليه من كان يهابُه، وصغَّرهُ من كان يُجلُّهُ.

وإذا استشرى الشرُّ سرى[1].

وصون المرء عرضه بالحلم خير من ابتذاله بالجهل.

والفراغ من إرادة أمر لا يعنيك ولا ينفعك خير من الوقوف عليه. ولا خير فيما يشغلُك عن إكرام عِرْضٍ أو صون حسبٍ، ومن ماظَّ الناس ماظُّوه[2].

ومن قال لهم ما فيهم قالوا له ما ليس فيه، واستمع بأُذنيه ما كان الناس يقولونه في أنفسهم، فلا تجعل للناس عليك مقالًا فيما بينهم.

واحرصْ نفسك من غيرك، وكنْ عليها أشدَّ سلطنةً

---

(١) الاستشراء: اللجاجة.

(٢) ماظ: أي لام وخاصم وشاتم.

من عدوك، ووقِّرْها بالحلم يوقرك من سواك، فإنّ الحلم رأسُ الحكمة، ومن كان حليماً كان حكيماً[1].

المفضّل الضّبيّ والغلام

● روى المفضل الضبي قال: نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين وكنت مشغوفاً بسماع أخبار العرب وجمعها، فأخذتُ أجول بين خيامهم، وأتحسّسُ من أحوالهم، وإذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها، آخذة بيد غلام قلّما رأيتُ مثله في حسنه وجماله وهي تعاتبه بلسان رطبٍ وكلام عذبٍ يسترقُ السّمعَ ويترشّفه القلب، فكانَ أكثر مَا أسمعه منها (بُنيّ وأي بُني) وهو يتبسّم في وجهها وقد غلب عليه الحياء والخجل كأنه من ربّات الحجال فلا يحير جواباً ولا يبدي خطاباً، فاستحسنتُ ما رأيتُ واستحليتُ ما سمعتُ فدنوتُ فسلمتُ، فردّ عليّ السلام، ووقفتُ أنظر إلى المرأة والغلام، فقالت لي: يا حضري، ما حاجتك؟ قلتُ: الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى، فابتسمتْ وقالتْ: يا هذا، إن شئتَ سُقْتُ إليك ما هو أحسن مما رأيت، فقلتُ: هاتي، حفظكِ الله. قالت: ولد

(١) من كتاب/ أنباء نجباء الأبناء ص(٢٣٢).

هذا الغلام فكان ثالث أبويه فربّي بيننا كأنه شبل، وكنتُ أَقيهِ برد الشتاء وحرّ الهجير حتى إذا ما تمّتْ له خمس سنين أسلمتُه إلى المؤدب، فحفّظهُ القرآن فتلاه، وعلّمه الشعر فرواه، ورُغب في مفاخر قومه وطلب مآثر آبائه وأجداده، فلما أن اشتد عظمه وكمل خلقه، حملتُهُ على عتاق الخيل فتفرّس وتمرّس ولبس السلاح ومشى الخيلاء بين بيوتات الحي وأصغى إلى أصوات ذوي الحاجات، فأخذ في قِرى الضيف وإطعام الطعام، وأنا عليه وَجِلة أحرسُهُ من العيون أن تصيبه، من الألسن أن تعيبه، إلى أن نزلنا في بعض الأيام منهلًا من المناهل بين أحياء العرب، فخرج فتيان الحيّ في طلب ثأر لهم، وشاء الله تعالى أن أصابت الغلام وَعكة شغلتْهُ عن الخروج حتى إذا أمعن القوم ولم يبق في الحيّ غيره ونحن آمنون وادعون، فوربك ما هو إلا أن أدبر الليل وأقبل الصبح، حتى طلعتْ علينا طلائع العدو وغررُ الجياد ثوّاراً لا زوّاراً، فما كان إلا هنيهة حتى أحرزوا الأموال وهو يسألني ما الخبر وأنا أستره عنه إشفاقاً عليه وضنّاً به، حتى إذا علتْ الأصوات وبرزت المخدّرات ـ أي النساء المحجبات ـ رمى دثاره، وثار كما يثور الضرغام إذا أُغضب، فأمر بإسراج فرسه، ولبس درع حربه وأخذ رمحه بيده وركب حتى لحق حُماة القوم وأنا أنظر إليه، فطعن

أدناهم منه، فرمى به ولحق أبعدهم فقتله، فانصرفتْ إليه وجوهُ الفرسان، فرأَوْهُ غلاماً صغيراً لا مددَ وراءه. فحملوا عليه، فأسرع يؤمُّ البيوت، حتى إذا خلّفهم وراءه وامتدوا في أثره، عطف عليهم ففرّق شملهم وشتّتَ جمعهم وقلّلَ كثرتهم ومزّقهم كل ممزّق، ومرق كما يمرق السهم من الرمية، وناداهم خلّوا عن المال فوالله لا رجعتُ إلا به أو لأهلكنّ دونه، فتداعتْ إليه الأقران، وتمايلتْ نحوه الفرسان، وتميزت له الفتيان، وحملوا عليه وقد رفعوا إليه الأسنّة ومالوا عليه بالأعنّة، فوثب عليهم وهو يزأر كالأَسد، وجعل لا يحمل على ناحية إلا حطّمها، ولا كتيبة إلا هزمها، حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه، ففاز بالأموال، وأقبل بها، فكبّر القوم عند رؤيته وفرحوا فرحاً عظيماً بسلامته.

فوالله ما رأينا قط يوماً كان أسمح صباحاً وأحسن رواحاً من ذلك اليوم. ولقد سمعته ينشد في وجوه فتيات الحيّ هذه الأبيات:

تأمّلنَّ فِعلي هل رأيتُنَّ مثله
إذا حشرجتْ نفس الكميّ عن الكرب
وضاقتْ عليه الأرض حتى كأنه
من الخوف مسلوب العزيمة والقلب

أَلَـم أعـطِ كـلّا حـقَّـهُ ونـصـيـبـه

من السّمهري اللّدن والصارم العضب

أنا ابن أبي هند بن قيس بن خالد

سليل المعالي والمكارم والسيّب[1]

إلى آخر ما أنشد.

المعاني:

ريات الحجال: أي النساء المستورات في بيوتهن.

غرر الجياد: أي كرائم الخيل.

هنيهة: زمن قصير.

دثاره: ما يتغطى به النائم.

الضرغام: الأسد الشجاع القوي.

الأسنة: نصل الرمح.

الأعنة: جمع عنان وهو لجام الفرس.

الكميّ: الشجاع.

السمهريّ: الرمح الصلب.

اللدن: اللين والمراد الطيّع في يده.

---

(١) جواهر الأدب ص(٢٩٢).

الصارم العضب: أي السيف القاطع.

والسيّب: جمع السائب من سيّب الشيء: أي تركه وأهمله.

وسيّب العبد: أي أعتقه.

الكسائي والغلام

● حكى النسائي أنه قال لغلام بالبادية: مَن خَلَقْك؟ وجزم القاف، فلم يذر ما قال، ولم يُجبْه، فردَّ عليه السؤال فقال الغلام: لعلك تريد مَن خلقَك[1]؟

الأصمعي والغلام

● عن الأصمعي قال: بينا أنا بحِمَى ضَرِيَّة إذ وقف عليّ غلام من بني أسد في أطمار ما ظننتُهُ يجمع بين كلمتين، فقلتُ: ما اسمك؟ فقال: حُرَيْقيص، فقلتُ: أما كفى أهلك أن يُسَمُّوك حُرْقوصاً[2] حتى حقَّرُوا اسمك! فقال: إنّ السَّقْط ليُحْرق الحَرجَة[3] فعجبتُ من جوابه،

---

(١) البيان والتبيين (١/١٦٤).

(٢) الحرقوص: اسم دويبة كالبرغوث، أو كالقُراد.

(٣) الحَرَجَة: الشجر الكثير الملتف وجمعه حِراج وأحراج.
والسِّقط: ما يسقط من الزَّند إذا قُدِح.

فقلتُ: أتُنشد شيئاً من أشعار قومك؟ قال: نعم أُنشدك لمرّارنا؛ قلتُ: افعل، فقال:

سكنوا شُبَيْثاً[1] والأحصَّ وأصبحوا
نـزلـتْ مـنـازلَهـمُ بـنـو ذُبـيـان
وإذا يـقـال أُتـيـتُـمُ لـم يَـبْـرحُـوا
حتى تقيمَ الخيلُ سُوقَ طِعان
وإذا فـلانٌ مـات عـن أُكـرُومـةٍ
رقـعُـوا مَـعَـاوزَ فـقـره بـفـلان[2]

نجابة غلام من العرب

● ذكر أن الحجاج سار يوماً متفرداً، فأتى موضعاً فرأى غلاماً من غلمان العرب ومعه قوس يتصيد، وكان من أصبحهم وجهاً وأحسنهم شباباً، فقال له الحجاج:

ممَّن أنت يا غلام؟ قال: من الناس!

قال: وأي الناس؟ قال: من ولد آدم.

قال: فمن أبوك؟ قال: الذي ولدني!

(١) شبيث والأحصّ: اسما موضعين بنجد.

(٢) كتاب الأمالي لأبي علي القالي (٦٦/١).

قال: فأين ولدت؟ قال: على ظهر الأرض!

قال: فأين نشأت؟ قال: ما بين السماء والأرض.

قال: واسمك؟ قال: وما تريد من اسمي؟

قال: أحببتُ أن أعرف.

قال: والله ما ضرني إنكارك إيايَ في سالف الدهر، فينفعني اليوم علمك بي ومعرفتك لي!

قال: فانطلق معي أفعل بك خيراً.

فقال: والله ما أرى فيك شيئاً من الخير فأنطلق معك!

قال: ما أسفهك يا غلام!

قال: وما علمك بسفهي وأنني سفيه، وأنت قد ذهب بك التيهُ[1] وذاك بك شبيه.

قال: يا غلام، سَلْني حاجتك.

قال: والله ما أسأل إلا مَن أنا وأنت عنده في المسألة سواء، ذلك الله ربي وربك[2].

---

(١) التيه: العُجب والخيلاء.

(٢) مجلة براعم الإيمان (١٦/١٥٠).

● روى الطبراني وابن النجار عن علي كرم الله وجهه أن النبي ﷺ قال: **«أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»**.

● روى أحمد والشيخان عن أنس رضي الله عنه أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ: **«وما أعددت لها؟»** فقال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: **«أنت مع مَن أحببت»**.

وفي رواية البخاري قال: ونحن كذلك؟ فقال ﷺ: **«نعم»**، قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: **«أنت مع من أحببت»** قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم.

● أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل الخلاء قال: فوضعتُ له وضوءاً فقال: **«من وضع هذا؟»** فأُخبر فقال: **«اللهم فقّهه في الدين»**.

● أخرج البخاري ومسلم عن سُمرة بن جندب رضي الله عنه قال: (لقد كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنتُ أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أنّ ها هنا رجالًا هم أَسَنُّ مني).

● روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من ناشىء ينشأ في العبادة حتى يدركه الموت، إلا أعطاه الله أجر تسعة وتسعين صديقاً»**.

● أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنتُ خلف النبي ﷺ يوماً فقال: **«يا غلام.. إني أعلمك كلمات:**

ـ احفظ الله يحفظك.

ـ احفظ الله تجده تجاهك.

ـ وإذا سألت فاسأل الله.

ـ وإذا استعنت فاستعن بالله.

ـ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك.

ـ وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف».

وفي رواية غير الترمذي زيادة:

«ـ احفظ الله تجده أمامك.

ـ تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة.

ـ واعلم: أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك.

ـ واعلم: أن النصر مع الصبر.

وأنّ الفرج مع الكرب.

وأنّ مع العسر يسراً».

● روى أبو داود والحاكم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع».**

● روى ابن السني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إني أريد الحج، فمشى معه رسول الله ﷺ فقال: **«يا غلام! زودك الله التقوى، ووجهك في الخير، وكفاك الهم»** فلما رجع الغلام على النبي ﷺ فقال: **«يا غلام، قبل الله حجك، وغفر ذنبك، وأخلف نفقتك».**

● أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال:

كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: **«أسلم»** فنظر إلى أبيه وهو عنده؟ فقال أطعْ أبا القاسم، فأسلمَ. فخرج النبي ﷺ وهو يقول: **«الحمد لله الذي أنقذه من النار»**.

● روى أبو يعلى والطبراني عن عمرو بن حريث أن رسول الله ﷺ مرّ بعبدالله بن جعفر وهو يبيع بيع الغلمان أو الصبيان. قال: **«اللهم بارك له في بيعه أو قال في صفقته»**.

● روى الترمذي عن سعيدٌ بن العاص رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: **«ما نَحلَ والدٌ ولداً من نخْلٍ أفضل من أدب حسن»**.

● وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ما برّ أباه من سدَّد إليه الطرف بالغضب»**.

● روى الإمام أحمد والطبراني عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: **«ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»**.

● أخرج البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: (كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، فكانت يدي

تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: **«يا غلام سمِّ الله تعالى، وكُلْ بيمينك، وكل مما يليك»**، فما زالت طعمتي بعدُ).

● أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من قال لصبي تعال هاك أعطك ولم يعطه كتبت كذبة»**.

● أخرج البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفّ قط ولا قال لشيءٍ لِمَ فعلت كذا وهلا فعلت كذا؟).

● روى الترمذي وأبو داود والبخاري في الأدب المفرد وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: **«من كان له ثلاث بنات أو أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صُحبتَهُنّ وصبر عليهن واتقى الله فيهن دخل الجنة»**.

● أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: (كان يُؤتى بأول الثمر فيقول: **«اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مُدِّنا، وفي صاعنا، بركة على بركة»**، ثم يُعطيه أصغر من يحضره من الولدان).

● روى أبو يعلى وابن عساكر عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أُتيَ بي عند مقدمه إلى المدينة فقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأتُ على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك فقال: «**يا زيد تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي**» فتعلمته فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته، فكنتُ أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم وأقرأ كتبهم إذا كتبوا إليه. وعندهما أيضاً وابن أبي داود عن زيد قال لي رسول الله ﷺ: «**أتحسِنُ السريانية فإنها تأتيني كتب؟**» قلتُ: لا. قال: «**فتعلمتها في سبعة عشر يوماً**».

● روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يُهنْها ولم يُؤْثر ولده** ـ أي الذكور عليها ـ **أدخله الله الجنة**».

● روى الديلمي وابن عساكر عن أبي سفيان قال: دخلتُ على معاوية وهو مستلق على ظهره وعلى صدره صبي أو صبية تناغيه فقلتُ:

أمط هذا عنك يا أمير المؤمنين، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من كان له صبي فليتصاب له**».

● روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الولد ما قبلتُ منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ: **«من لا يرحم لا يُرحم»**.

● روى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ:

«أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».

● روى الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن يؤدب الرجل ولده، خير من أن يتصدق بصاع»**.

● روى النسائي من طريق جعفر بن سليمان عن ثابت (أن النبيّ ﷺ كان يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم).

● روى الحاكم وأبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»**.

● روى ابن حبان عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«الغلام يُعقّ عنه يوم السابع ويُسمَّى**

ويماط عنه الأذى، فإذا بلغ ست سنين أُدّب، وإذا بلغ تسع سنين عزل عن فراشه، فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضُرب على الصلاة والصوم، فإذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه، ثم أخذ بيده وقال: قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة».

● روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**افتحوا على صبيانكم أول كلمةٍ بلا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت: لا إله إلا الله**».

● روى أصحاب السنن عن سمُرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم السابع، ويُسمّى فيه ويحلق رأسه**».

● في الصحيحين عن أبي موسى قال: ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسمّاه إبراهيم وحنّكه بتمرة (وزاد البخاري: ودعا له بالبركة ودفعه إليّ).

● روى البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن لكل شجرة ثمرة، وثمرة القلب الولد، إن الله لا يرحم من لا يرحم ولدَه، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم**». قلنا يا رسول الله: كلنا يرحم، قال: «**ليس رحمته أن يرحم أحدكم صاحبه، إنما الرحمة أن يرحم الناس**».

● يقول الإمام الغزالي: الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه، والوالي له ويقول رسول الله ﷺ: **«كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»** وإلى هذا أشار أبو العلاء بقوله:

وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عوّده أبوه[1]

● قل لؤي بن غالب يوماً لامرأته: أيّ بنيك أحب إليك؟

قالت: الذي اجتمعت فيه ثماني خلال:

لا يخامر عقله جهل، ولا يخالط حلمه سفه، ولا يلوي لسانه عي، ولا يفسد يقينه ظن، ولا يغيره عقوق، ولا يقبض يده بخل، ولا يكدر صنعه مَنّ، ولا يردّ

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(٢٥).

إقدامه جبن[1].

● روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: ليكنْ أول ما تبدأ به من إصلاح بنيّ إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وتهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكِلنَّ على عذر مني، فإني قد اتكلتُ على كفاية منك[2].

● أيها الكفيل، إذا ألقيت مسؤولية الطفل في مراتع وخيمة، أخشى أن يُضاعف لك العذاب ضعفين، تُعذب على تشويه تلك الجوهرة المكرمة عذاباً نكيراً، وتحوز من تلك الجناية العامة نصيباً مفروضاً[3].

● قال الإمام الغزالي في رسالته: (أيها الولد أن معنى التربية يشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشوْك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته، ويكمل

---

(١) مجلة الفيصل (١٣٩/١٢٧).

(٢) تربية الأولاد في الإسلام (١/١٥٤).

(٣) منهج التربية النبوية للطفل ص(٢٥) نقلًا عن (السعادة العظمى) ص(٩٠).

ريعُهُ)[1].

● وروى ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين إلى المؤدب قال له: (يا أحمر: إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيّر يدك عليه مبسوطة، وطاعتك له واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروّه الأشعار، وعلمه السُّنن، وبصّره بمواقع الكلام وبَدْئِه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تَمُرّنَّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته، فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة)[2].

● وللإمام علي كرم الله وجهه مقولة هامة في التربية ينبغي الاهتمام بها والعمل بموجبها من قبل المربين وهي: (علموا أولادكم، لأنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم).

● قال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب لابنه:

---

(١) المرجع السابق ص(٢٧).

(٢) تربية الأولاد في الإسلام (١/١٥٤).

أيْ بنيّ أني مُؤدٌ حقَّ الله في تأديبك فأدّ إليّ حق الله في الاستماع مني، كُفّ الأذى وارفض البذيء، واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام، فإنّ للقول ساعات يضر فيها الخطأ، ولا ينفع فيها الصواب، واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشاً لأنه يرديك بمشورته، واعلم يا بني أن رأيك إذا احتجتَ إليه وجدته نائماً، ووجدت هواك يقظان، فإياك أن تستبد برأيك، فإنه حينئذٍ هواك، ولا تفعل فعلًا إلا وأنت على يقين أنّ عاقبته لا ترديك، وأن نتيجته لا تجني عليك(١).

● وبلغ من اعتناء السلف بالولد أنهم كانوا حريصين على متانة الرابطة بينهم وبين مؤدبيهم، فكانوا يحزنون إذا غابوا عن الأولاد فترة بسبب من الأسباب، لخوفهم على الأولاد أن لا يؤدبوا على ما يريدون ويشتهون. ذكر الراغب الأصفاني أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بني أمية من يقول لهم: «ما أشد ما مرّ بكم في هذا الحبس؟» فقالوا: «ما فقدنا من تربية أولادنا»(٢).

---

(١) مجلة الأمة (٩٧/٦٥).

(٢) تربية الأولاد في الإسلام (١/١٥٤).

● يقول ابن القيم: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قِبل الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبتِ إنك عققتني صغيراً، فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً، فأضعتك شيخاً[1].

● قال عبدالملك بن مروان لبنيه: يا بنيّ تعلموا العلم فإن كنتم وسطاً سدتمْ وإن كنتم سوقة عشتم[2].

● وقد حدثت مناقشة بين معاوية والأحنف بن قيس حيث بيَّن الثاني للأول أهمية ترضية الولد وتلبية طلبه. قال يزيد بن معاوية: أرسل أَبي إلى الأحنف ابن قيس فلما وصل إليه قال له: يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟ قال: يا أمير المؤمنين، هم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإنْ غضبوا فأرضهم، فيمنحونك ودّهم، ويحيوك جهدهم، ولا تكن

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(٢٧).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل ص(١٥٩).

عليهم ثقلًا ثقيلًا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك.

فقال له معاوية: لله أنت يا أحنف، لقد دخلت عليّ وأنا مملوء غضباً وغضباً على يزيد، فلما خرج الأحنف من عنده رضيَ عن يزيد وبعث إليه بمائتي ألف درهم، ومائتي ثوب، فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه إياها على شطر[1].

● يقول ابن خلدون: (إن خير وسيلة للتربية الأخلاقية هي القدوة الحسنة، فإِن الأطفال يأخذون بالتقليد وبالمحاكاة أكثر مما يأخذون بالنصح والإرشاد).

● وقال حكيم: (يا بني ضع قبلك وراء كتبك، وأحببها كما تحب أُمك، فليس هناك شيء تعلو منزلته على الكتب)[2].

● ذكر الخطيب البغدادي في كتابه: (شرف أصحاب الحديث ص١٠) روى النضر بن الحارث قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول:

---

(١) المرجع السابق ص(٣٥٣) نقلًا عن (إحياء علوم الدين) (٢١٨/٢).

(٢) مجلة الفيصل (٦٣/٣٦).

قال لي أبي: يا بنيّ اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثاً وحفظته فلك درهم فطلبتُ الحديث على هذا[1].

● وقال عبدالملك بن مروان ينصح مؤدب ولده: «علِّمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، وروِّهم الشعر يشجعوا وينجدوا، وجالس بهم أشراف الرجال وأهل العلم منهم، وجنِّبهم السَّفلَة والخدم، فإنهم أسوأ الناس أدباً.. ووقِّرهم في العلانية، وأنبّهم في السر، واضربهم على الكذب، إن الكذب يدعو إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار[2].

● وقال الحجاج لمؤدب بنيه: «علِّمهم السباحة قبل الكتابة، فإنهم يجدون من يكتب عنهم، ولا يجدون من يسبح عنهم»[3].

● روت كتب التاريخ والأدب أنّ المفضل بن زيد رأى مرة ابن امرأة من الأعراب، فأعجب بمنظره، فسألها عنه فقالت: «إذا أتمّ خمس سنوات أسلمتُهُ إلى المؤدب، فحفظ القرآن فتلاه، وعلمه الشعر فرواه، ورُغِّب في

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(٩٧).
(٢) تربية الأولاد في الإسلام (١/١٥٤).
(٣) المرجع السابق (١/١٥٥).

مفاخر قومه، ولُقِّن مآثر آبائه وأجداده، فلما بلغ الحُلم حملتُهُ على أعناق الخيل، فتمرس وتفرس، ولبس السلاح، ومشى بين بيوت الحيّ، وأصغى إلى صوت الصارخ...»[1].

● عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، قال: «كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول: يا بني إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها»[2].

● قال الحافظ السيوطي: تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشأون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة، قبل تمكن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال[3].

● وقال أحد الحكماء لمؤدب ولده:

لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإنّ اصطكاك العلم في السمع وازدحامه في الوهم مضّلةٌ للفهم[4].

---

(١) المرجع السابق (٦٤٩/٢).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل ص(٩٩) عن كتاب/ محمد رسول الله ص(١٥١).

(٣) المرجع السابق ص(١٠٤) عن كتاب/ تلاوة القرآن المجيد.

(٤) عيون الأخبار (١٦٧/٢).

● وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل الشام:

علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية[1].

● وقال ابن عباس رضي الله عنهما:

ولد لكسرى مولود، فأحضر بعض المؤدبين، ووضع الصبي بين يديه وقال: ما خير ما أُوتي هذا المولود؟

قال: عقل ولد معه. قال: فإن لم يكن؟ قال: فأدب حسن يعيش به في الناس. قال: فإن لم يكنْ؟ قال: فصاعقة تحرقه[2].

● وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: (أمرنا أنْ نعلِّم أولادنا الرمي والقرآن)[3].

● وكتب بديع الزمان الهمذاني إلى ابن أخت له يحثه على الجد في طلب العلم فقال: أنت ولدي ما دمتَ والعلم شأنك والمدرسة مكانك والقلم أليفك والدفتر حليفك، فإن قصَّرتَ وما إخالك فغيري خالك

---

(١) المرجع السابق (١٦٨/٢).

(٢) روضة المحبين ص(٨).

(٣) منهج التربية النبوية للطفل ص(٢٠٧).

والسلام[١].

● وكانت العرب تُسمِّي الرجل إذا كان يكتب ويُحسن الرمي ويُحسن العوم ويقول الشعر، الكامل[٢].

● ومن وصية ابن سينا في تربية الولد: أن يكون مع الصبي في مكتبه صِبْيَةٌ حسنة آدابهم، مرضيّة عاداتهم، لأن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس[٣].

● قال هشام بن عبدالملك لسليمان الكلبي مؤدب ابنه: (إنّ ابني هذا هو جلدة ما بين عيني، وقد ولّيتك تأديبه، فعليك بتقوى الله، وأدِّ الأمانة، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله، ثم روِّه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذْ من صالح شعرهم، وَبَصِّرْهُ طرفاً من الحلال والحرام، والخُطب والمغازي..)[٤].

● قال الحبيب بن الشهيد لابنه: (يا بنيّ، اصحبْ

---

(١) المرجع السابق ص(٢٢١) عن كتاب الهداية الإسلامية ص(٢٢٨).

(٢) عيون الأخبار (١٦٨/٢).

(٣) تربية الأولاد في الإسلام (١٥٥/١).

(٤) المرجع السابق ص(١٥٥/١).

الفقهاء والعلماء، وتعلمْ منهم، وخذ من أدبهم، فإن ذلك أحب إليّ من كثير من الحديث)[1].

● وقال مخلّد بنِ الحسين لابن المبارك: (نحن إلى كثير من الأدب أحوج إلى كثير من الأحاديث)[2].

● وقال بعض السلف لابنه: (يا بنيّ لأن تعلم باباً من الأدب أحب إليّ من أن تعلم سبعين باباً من أبواب العلم)[3].

● وقال سفيان بن عيينة: (إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، وعليه تعرض الأشياء على خُلُقه وسيرته وهديه.. فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل)[4].

● جاء في مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون أن القاضي الورع عيسى ابن مسكين كان يقرىء بناته وحفيداته. قال عياض: فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية ـ أسد بن الفرات ـ بابنته أسماء التي

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (٤٠٥/١).
(٢) المرجع السابق (٤٠٥/١).
(٣) المرجع السابق (٤٠٥/١).
(٤) المرجع السابق (٤٠٥/١).

نالت من العلم درجة كبيرة[1].

● ورحم الله شوقي حين قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
همِّ الحياة وخلَّفاه ذليلَا
إن اليتيم هو الذي تلْقى له
أمّاً تخلت أو أباً مشغولَا

● وما أحسن ما قال الشاعر:

عن المرء لا تسألْ وسلْ عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يَقتدي

● وقال الشاعر صالح بن عبدالقدوس:

وإنَّ مَنْ أدَّبتَهُ في زمن الصِّبا
كالعُود يُسْقى الماء في غَرْسِهِ
حتى تَراهُ مورقاً ناضراً
بعد الذي أبصرتَ من يُبْسِهِ

● ومن أجمل وأعمق ما قيل في الأبناء قول الشاعر حطان بن المعلى:

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(١٠٧).

أنزلني الدهر على حكمه
من شامخٍ عالٍ إلى خفضِ
وغالبني الدهرُ بوفر الغنى
فليس لي مالٌ سوى عرضي
أبكاني الدهرُ ويا ربما
أضحكني الدهرُ بما يرضي
لولا بنياتٌ كزغبِ القطا
رُددْنَ من بعضٍ إلى بعضِ
لكان لي مضطربٌ واسعٌ
في الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرضِ
وإنما أولادُنا بيننا
أكبادُنا تمشي على الأرض

● وأحْسَنَ مَنْ قال:

قد ينفعُ الأدبُ الأولادَ في صغرٍ
وليس ينفعهم من بعده أدب
إنّ الغصونَ إذا قوَّمْتها اعتدلتْ
ولا تلينُ إذا صارتْ من الخشب

● وقال آخر:

وينشأُ ناشئُ الفتيان منا
على ما كان عوَّدَهُ أبُوهُ

● وقال أحمد شوقي:

فربَّ صغيرِ قومٍ علموه
سما وحمى المسومة العرابا
وكان لقومه نفعاً وفخراً
ولو تركوه كان أذى وعابا
فعلِّمْ ما استطعت لعل جيلًا
سيأتي يُحْدِث العجب العجابا

● وقال نفطويه:

أراني نسيتُ ما تعلمتُ في الكبر
ولستُ بناسٍ ما تعلمتُ في الصغر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبا
وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف
إذا كلَّ قلب المرء والسمع والبصر
ولو فلق القلب المعلم في الصبا
لأبصر فيه العلم كالنقش في الحجر

● كان علي المديني رحمه الله يقول: توريث

الأولاد الأدب خير لهم من توريث المال، الأدب يكسبهم المال والجاه والمحبة للإخوان ويجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة(١).

● قال رُوَيْم بن أحمد البغدادي لابنه:

يا بني اجعلْ عملك مِلْحاً، وأدبك دقيقاً ـ أي استكثر من الأدب حتى تكون نسبته في سلوكك من حيث الكثرة كنسبة الدقيق إلى الملح الذي يوضع فيه ـ وكثير من الأدب مع قليل من العمل الصالح، خير من كثير من العمل مع قلة الأدب.

ذكره الإمام القرافي في كتابه الفروق (٩٦/٣)(٢).

● وقال أبو زكريا العنبري: عِلْم بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كروح بلا جسم(٣).

● وكان الحسن البصري رضي الله عنه يوجه ابنه لأدب مجالس العلماء فيقول: يا بني إذا جالستَ العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ولا تقطع على

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل ص(١٥٩) عن تنبيه المغتربين ص(٤١).

(٢) المرجع السابق ص(١٦٠) عن رسالة المسترشدين ص(٣١).

(٣) المرجع السابق ص(١٦١).

أحدٍ حديثاً وإن طال حتى يمسك[1].

● قال الحسن بن علي رضي الله عنهما لابنه: «يا بنيّ إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع على أحدٍ حديثاً، وإن طال حتى يمسك»[2].

● يرجع اهتمام العرب الأقدمين بالغناء للأطفال، ومداعبتهم وهدهدتهم وترقيصهم وتنويمهم، والتسرية عنهم للمكانة الحميمة التي يحتلها الأطفال والأبناء في النفس العربية.

فالأبناء والأطفال هم الأكباد التي تمشي على الأرض، وهم ريح من ريح الجنة، وهم زينة الحياة الدنيا وهم ـ في المستقبل ـ حماة الحمى ورجاله وموضع فخره واعتزازه، وكانت الوصية التي تتوارثها الأجيال العربية على مدى الأزمان والعصور هي:

ـ لا تبتْ ابنك مغيظاً.

ـ وَدَلِّلْهُ وَعَلِّلْهُ ببعض ما يلهيه ويضحكه ويسلّيه ويشْبِعُهُ.

---

(١) المرجع السابق ص(١٦٥).

(٢) مجلة المجتمع (٦١/١٠٦٦).

ـ وتُغَنِّ له قبل أن ينام حتى ينام بعد أن تهيىء له صفاء المزاج، وارتياح القلب، وهدوء الأعصاب، وراحة البدن[1].

● سُئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما حق الولد على أبيه؟

فقال: (أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن)[2].

● قال المأمون لأحد أولاده ـ وقد سمع منه لحناً ـ ما على أحدكم أن يتعلم العربية، فيقيم بها أَوَدَهُ، ويزين بها مشهده، ويفل بها حجج خصمه بمسكتات حكمه، ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه، أوَ يَسُرُّ أحدَكم أن يكون لسانه كلسان عبده، أو أمَته، فلا يزال الدهر أسير كلمته؟

قاتل الله الذي يقول:

ألم تر مفتاحَ الفؤاد لسانَهُ

إذا هو أبدى ما يقول من الفم

(١) مجلة العربي (٧٧/٣١٦).

(٢) تربية الأولاد في الإسلام (١/٤٠).

وكائن ترى من صاحبٍ لك معجبٍ
زيـادتُـه أو نـقـصُـهُ فـي الـتـكـلـم

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه
فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدم[1]

(١) مجلة الفيصل (١١/٢٦٦) نقلًا عن (بهجة المجالس ١/٦٤).

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - صحيح البخاري.

٣ - صحيح مسلم.

٤ - رياض الصالحين/ للنووي.

٥ - مسند الإمام أحمد.

٦ - اللؤلؤ والمرجان/ محمد فؤاد عبدالباقي.

٧ - نيل الأوطار للشوكاني.

٨ - الأدب المفرد للبخاري.

٩ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

١٠ - المنجد في اللغة والأعلام.

١١ - الأعلام/ لخير الدين الزركلي.

١٢ - البداية والنهاية/ لابن كثير.

١٣ - كتاب الأذكياء لابن الجوزي.

١٤ - الكامل في اللغة والأدب/ للمبرد.

١٥ - عيون الأخبار/ لابن قتيبة.

١٦ - المستطرف/ للابشيهي.

١٧ ـ مجمع الأمثال/للميداني.
١٨ ـ نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/ محمد حسن عقيل.
١٩ ـ العقد الفريد/ لابن عبد ربه.
٢٠ ـ البيان والتبيين/ للجاحظ.
٢١ ـ الأمالي/ لأبي علي القالي.
٢٢ ـ المفرد العلم/ لأحمد الهاشمي.
٢٣ ـ جواهر الأدب/ لأحمد الهاشمي.
٢٤ ـ أنباء نجباء الأبناء/ محمد بن ظفر الصقلي المكي.
٢٥ ـ دليل السائلين/ أنس أبو داود.
٢٦ ـ تربية الأولاد في الإسلام/ عبدالله ناصح علوان.
٢٧ ـ منهج التربية النبوية للطفل/ محمد نور سويد.
٢٨ ـ المراهقون/ د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي.
٢٩ ـ فراسة المؤمن/ إبراهيم الحازمي.
٣٠ ـ مجلة الفيصل الأعداد ٢٦٦/٢٥٢/٢٣٩/٢٢٩/٣٦.
٣١ ـ مجلة العربي الأعداد ٤٥٧/٤٠٧/٣١٦/٣١٤.
٣٢ ـ مجلة النور العدد ١٣٦.
٣٣ ـ مجلة الوعي الإسلامي العدد ٢٦٢.
٣٤ ـ مجلة المجتمع العددان ١٠٦٦/٩٦٦.
٣٥ ـ مجلة الأمة العدد ٩٧.
٣٦ ـ مجلة الدوحة العدد ١١٧.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٧
مقدمة الكتاب	٩
رسول الله ﷺ والغلام	١٥
عبدالله بن عمر في صغره	١٥
ابن عمر بن عبدالعزيز في صغره	١٦
الصديق رضي الله عنه في صغره	١٧
علي ابن أبي طالب في صغره	١٩
أحمد بن حنبل في طفولته	٢٠
سيدنا عثمان بن عفان في صغره	٢١
عبدالله بن عباس في صغره	٢٢
سمُرة بن جندب يجاهد صغيراً	٢٤
عبدالله بن الزبير	٢٥
زيد بن ثابت	٢٧
أسامة بن زيد في صغره	٢٨
معاذ بن عمرو ومعاذ بن عفراء	٢٩

الموضوع	الصفحة
عمير بن أبي وقاص يجاهد صغيراً	٣٠
غلام زين العابدين	٣١
نجابة ابن الخليفة	٣٢
الإمام البخاري في صغره	٣٢
طفولة الإمام أبي يوسف صاحب أبي حنيفة	٣٣
طفولة الإمام الشافعي	٣٥
طفولة سفيان بن عيينة في طلبه للعلم	٣٧
طفولة الإمام أحمد بن حنبل	٣٨
طفولة الإمام محمد بن الحسن الشيباني	٣٨
ابن تيمية في صغره	٤٠
طفولة الإمام ابن سينا في طلب العلم	٤١
إياس بن معاوية المزني	٤٢
الرشيد والصبي	٤٤
معروف بن فيروز الكرخي في صغره	٤٤
داود بن نصير الطائي في صغره	٤٧
أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي في صغره	٤٨
الحارث بن أسد المحاسبي في صغره	٥٠
الحارث بن أسد المحاسبي في صغره	٥٠
السَّريّ بن المغلّس في صغره	٥١
ابنة حاتم بن الأصم	٥٢
ابن المأمون	٥٣
دغفل بن حنظلة السدوسي في صغره	٥٣

الموضوع	الصفحة

النوري في صغره ٥٥
نجابة عمرو الأشدق منذ الصغر ٥٩
الصحابي واليتيم ٦٣
سخاء غلام ٦٣
عبدالله بن عباس ٦٣
عمر بن عبدالعزيز ورجل حديث السن ٦٥
الجنيد ٦٥
غلمان أهل البحرين ٦٦
سفيان بن عيينة في خدمة العلماء ٦٦
طفل صغير يعظ أبا حنيفة ٦٧
غُشي على أبي حنيفة من طفل آخر ٦٨
ابنة الإمام مالك بن أنس ٦٩
الشافعي ٦٩
سهل بن عبدالله التستري ٦٩
ابن سينا ٧٠
طفولة عجيبة في حفظ القرآن ٧٠
يزيد بن معاوية ٧٠
عبدالملك بن مروان في صغره ٧٤
عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز ٧٦
عمر بن عبدالعزيز ووفد العراق ٧٦
إياس بن معاوية ٧٧
درواس بن حبيب والخليفة هشام ٧٨

الموضوع	الصفحة
عمر بن عبدالعزيز والغلام	٨٠
ابنة إبراهيم بن هرمة	٨١
يزيد بن المهلب في صغره	٨١
المأمون والأمين في مجلس الرشيد	٨٢
المعتصم والغلام	٨٥
صبي نجيب	٨٦
المأمون بن هارون الرشيد في صغره	٨٧
المأمون والحسن بن رجاء	٩١
نجابة غلام عربي	٩١
فصاحة غلام	٩٢
ابن الأدب	٩٢
فصاحة فتى	٩٣
عبيدالله بن المأمون في صغره	٩٤
المغيرة بن شعبة والغلام	٩٥
عبدالله بن المعتز في صغره	٩٥
الراضي محمد بن جعفر في صغره	٩٧
الفضل وجعفر ولدا يحيى بن خالد بن برمك	٩٩
الحسن وسليمان ولدا وهب بن سعيد	١٠٤
ثلاثة صبيان نجاهم أدبهم	١٠٧
إجابة ذكية	١٠٩
الولد الذكي	١٠٩
ابن يعظ أباه	١١٠

الموضوع	الصفحة
البحتري والصبي الشاعر	١١٠
لقمان الحكيم وهو صبي	١١١
التاجر وابنه الصادق الأمين	١١٢
أبو العلاء المعري وغلام عربي	١١٣
جعفر الصادق والغلام	١١٤
المطلب غلام أبي لهب	١١٥
أصوم الاثنين والخميس	١١٦
الطعام حار	١١٦
إلى بيت ربي	١١٧
ملك وغلام عربي	١١٨
ابنة المعافي بن عمران	١١٩
عمرو بن أحيحة بن الجُلاح الأوسي	١١٩
المفضل الضبي والغلام	١٢٢
الكسائي والغلام	١٢٦
الأصمعي والغلام	١٢٦
نجابة غلام من العرب	١٢٧
التربية النبوية للأطفال	١٢٩
تربية السلف للأطفال	١٣٧
المصادر والمراجع	١٥٥
الفهرس	١٥٧